مذكرات ميمون العجوز الخرف

روايـــــة
الجزء الثاني

الطبـعـة الأولـــى
2020م- 1441هـ

ديـــوان العـــرب
للنشر و التـوزيـــع

ملحـوظـــــــــة: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنـــوان الكتاب: مذكرات ميمون العجوز الخرف – الجزء الثاني

اســـم المـؤلف: أسامة علي

التصنيف الأدبي: رواية

رقم الإيـــــداع: 9792 / 2020

الترقيـــم الدولي: 3 - 75 - 6792 - 977 – 978

تصميـــم الغلاف: محمد وجيه

التدقيـق اللغوي: د.هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقـــــم الطبعـة: الطبعة الأولى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـــر الكلي أو الجزئي، أو نســـخه أو تصـــويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شـــبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مســـبق من المؤلف أو الناشر.

مذكرات ميمون العجوز الخرف

روايـــــة

الجزء الثاني

أسامة علي

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

حقوق حلمك

إهداء

تعمدت عدم ذكر الألقاب لأني أعلم أنك لست من محبيها،رغم أنك تمتلك أعلاها،ولأنك تمتلك من الإنسانية ما يجعلني أقف عاجزاً عن صياغة حروف تليق بك، وهذا لا يعيبني ففي نهاية المطاف ماذا سيجدي الكلام وإن كان من فضه مع رجل أصله من ذهب؟!!

لذا دعني في صمت أهديك كتابي هذا لتجني ثمرة إنسانيتك تلك الإنسانية التي أستطعت بها أن تنتشلني من القاع وتجعلني علي القمة.

¤ع¤أحمد سالم عمارة

المؤلف

****

تمهيد

من لم يتعلم من كبار السن فقد مات جاهلاً، هكذا كان دائماً يخبرني جدي وأعتقد أنّه محق، فالحياة مدرسة إن لم تأخذ منها العبر والعظات، ستموت حتماً وأنت لم تعلم شيئاً، وهذه الحياة قصيرة لا مجال فيها لتعلم كلّ شيء عن تجربة شخصية، هناك الكثير من الأشياء التي وجب علينا تعلمها والاستفادة من كبار السن فيها، لهذا إن كنتَ تدعي أنّكَ على قدرٍ كافٍ من تعلم كل شيء بنفسك، فضع هذه الأوراق جانباً أنت لست بحاجة لقراءتها ما دمت تظن نفسك كاملاً، وأنصحك أيضاً ألّا تقرأ غيرها فالجميع لن يرضي غرورك، أما إذا أردت أن تتعلم معي من كبار السن، فاقترب لأخبرك عن نصيحة أخرى أخبرني بها جدي، ألّا تخدعني المظاهر وعليا بتقصي الحقائق، فوراء كل شيء هناك ثمة جوانب خفية، قد تكمل وتؤكد لك الصورة والانطباع الأول الذي رسمه خيالك، أو تمحيها وتخرج لك صورة خفية أخرى قد تغير كل شيء في ذاكرتك، وهذا تماماً ما طبقته مع العجوز الخرف أو العاشق العجوز، فعندما رأيته أول مرة في المقابر ليلاً توجست منه خيفة، وعندما تابعته ودخلت بيته الذي يسكنه وحيداً في أطراف القرية ليلاً كما يفعل اللصوص،

وجدت أوراقاً وكتباً وطلاسمَ تخص السحر، ليزداد شكي أنّه ساحر، كما يرونه أهل القرية جميعهم ولهذا السبب كان منبوذاً لديهم، ويتمنون موته في كل دقيقة، حتى عندما داهمت الشرطة بيته بعد أن وجدوا جثة الطفل بجوار بيته مذبوحاً، الجميع تعامل مع الأمر أنه قتله ليتقرب من شيطانه، وكان عليَّ أن أتقصى الأمر وهذا ما حدث كي أعرف بنفسي الحقيقة، ولم أسمح لنفسي أن أجعل ما قاله عنه أهل القرية هو دستور حياتي في تعاملي معه، ومع مرور الأحداث وقبل أن أدفن أوراقه وصورة الفتاة تحت تلك الشجرة ليلاً، قمت بقراءتها والاطلاع عليها، تعلمت منها الكثير والكثير، لذا دعك مني فلنا عودة، وتعالَ سريعاً لنرى مذكرات العجوز الخرف كما لقبوه، وهذا ما جاء فيها....

****

مرحباً، اسمي ميمون....!!!!

لا، لا تخاف لست ميمون النَكّاح ابن ملك الجان المنبوذ والمبغوض لدى عشيرته، اطمئن أنا فقط ميمون الأنسيّ أعيش بلحمٍ ودمٍ مثلك، ولكن هناك ثمة تشابه كبير بيني وبين ميمون ابن الجان، ليس فقط في الاسم الذي تتطابق حروفه، ولكن أيضاً في المعاناة التي نعيشها، فكما قيل أن لكل فرد نصيب من اسمه، أعتقد أن والدي اختار لي هذا الاسم لأنال قسطاً كبيراً من العذاب والمعاناة، كما هو حال ميمون ابن الجان، فكما نبذ ميمون لأنه أحبَّ واحدة من الإنس وقرر الزواج منها، وهذا ما رفضته عشيرته شكلاً ومضموناً، ولأن ميمون أحبها بصدق، رفض تدنيس شرفها في خلوة ليلية، كما يفعل أبناء جلدته مع الإنس الذين يحبونها، فقرر أن يبقى وفياً لحبها، كان يتابعها دون أن تدري به، ويلاحقها في كلّ مكان، كان دائم التواجد في غرفتها كل ليلة وربما ملامساً لفراشها وهي لا تعلم، ينظر إليها ويطيل النظر ولحسن حظها أنّها لم تعلم ذلك ولم ترَه، فماذا كان سيحدث إذا رأت في فراشها ليلاً رجلاً من نار، عيناه حمراء وكأنهم شهابين من نار، رغم أن نظرته كانت نظرة حب وتأمل، لكن ما الذي بيده كي يفعله وهو مخلوق من نار!!!!!

كان دائماً ما يتابع حركاتها وسيرها؛ وربما كان يسعى جاهداً لإيقاظها، دون أن تدري ما السبب الذي يدفعها لأن تستيقظ في منتصف الليل؟!! ويخاصم النوم جفنيها؟!!!

هي لا تعلم السبب ولكنه ربما كان بحاجتها بجواره، كان دائماً ما يحاول مساعدتها وعدم إيذائها، أعتقد أنّها محظوظة جداً لأنه أحبها حبّاً صادقاً، قد لا تجده في رجال وأبناء جلدتها الذين يتصارعون على جسدها، ولو أنه أحب جسدها كما يفعل رجال جلدتها لأصبحت هدفاً سهلَ الوصول إليه من ميمون كل ليلة، دون أن يستطيع أحد منعه وإيقافه، فكم من إنسية مثلها يعشقها جني ويتابعها بل ويعاشرها ولا تشعر به!!!!!

استمر هذا الوضع لسنوات، هو يحبها ولا يريد إيذاءَها، وعشيرته ترفض كل هذه المقالات والتعليلات التي يقدمها لهم عن هذا الحب، قوانينهم تحرم زواج جن من إنسية، فما بالك إذا كان واحداً من أبناء ملوك الجان؟!!!!

هم يريدون فقط أن يعيث فساداً في جسدها ليلاً دون أن يتزوجها، ويجبرها على الرذيلة دون أن تعلم المسكينة ما يدور بداخل فراشها ليلاً، ومع مَنْ؟!!!

إنّه جني ملعون خُلق من نار استمر الوضع هكذا طويلاً، لم تتزوج الفتاة رغم أن شباب البلدة جميعاً يتهافتون عليها، لكن ما أن تقدم لخطبتها

أحدهم لم يمكث معها سوى ليالٍ ثلاث ويفر هارباً منها دون عودة إليها، وكأن جمالها الذي كان يشع نوراً أصبح يقذف في وجهه ناراً، والجميلة لا تعلم السبب، ولكن ميمون ابن الجان كان يقف حائلاً بينها وبين الزواج، فرغم حبه لها إلا أنه لم يسمح لها بالزواج من غيره، ولأن أهله من الجن لن يوافقوا على تزويجه منها، فقد قرر ميمون أن تموت الجميلة عذراء كما ولدت عذراء، أصيبت الجميلة بندبات قلبية؛ فقد شاع خبر فرار الشباب منها في كل البلدة رغم جمالها، فتحول ذلك الجمال شيئاً فشيئاً إلى هالات سوداء تحت العين، من كثرة السهر التي لا تعرف هي نفسها سبباً له، ولكن ميمون هو من كان يشاطرها الفراش و يوقظها، ويبدو أن قوته كانت أقوى من قوة قرين الجميلة، فقد كان يجبره على أن يوقظها ليلاً، كما أن تلك الابتسامة التي كانت تزين جبينها قد اختفت شيئاً فشيئاً حتى مُحيت، ومع ازدياد تقدم العمر لديها كان اليأس يتملكها، والحزن والإرهاق والتعب والخوف حتى تملك المرض منها، ولأن هناك تفاوت كبير بين إعمار البشر والجان، فلم يضع ميمون الذي أحبها هذا التفاوت في حساباته، نسي أو تناسى أن إعمار البشر لا تتخطى المائة عام في حين أن إعمار الجان هي لآلاف الأعوام، ظل الأمر هكذا حتى كبرت وهانت عظامها وجائها الموت وهي لازالت عذراء، ماتت الجميلة

حبيبة ميمون ابن الجان، ويوم وفاتها ظل حزيناً وكان دائم التواجد عند قبرها، أما عشيرته فقد حاولوا مراراً وتكراراً أن يجبروه على الزواج من إحدى ملكات الجان، ولكنه رفض ذلك. ساءت الأمور بينه وبين عشيرته التي صبرت عليه كثيراً، لأنه ابن الملك، وفي النهاية أقاموا له محكمة لا تعرف الرحمة، وكان القرار فيها، أن يتم طرد ميمون من العشيرة والتبري منه، مرت الأيام وتحول ميمون المرفه ابن الملك، إلى أضحوكة من قرنائه من الجن، وأصبح مشرداً يطوف البحار والمحيطات والأودية ويسكن المقابر ولم ينل منذ ذلك اليوم أي راحة، خاصة في الأماكن التي يتواجد فيها عدد كبير من الجان، فكانوا دائمي التهكم عليه ومضايقته، فيجد نفسه مضطراً للرحيل من مكان إلى آخر، حتى استقر به المطاف في أماكن تواجد البشر، ولأنه ورغم كل ما حدث لازال يحتفظ بقلبه الطيب المحب، فلم يقم يوماً بإيذاء البشرية بل حاول مساعدتهم في الخفاء، هذه القصة لميمون ابن الجان، لم أكن أعرفها إنما أخبرني بها صديق تعرفت عليه في الجامعة أثناء دراستي كان يحب هذا النوع من القصص، ومعه الكثير من الكتب في هذا المجال، وقد أخبرني بتلك القصة عندما علم أن اسمي ميمون، وقد تعلقت هذه القصة في ذهني طويلاً، ليس فقط لتشابه الاسم بل أيضاً لتشابه الأحداث

بيني وبين ميمون ابن الجان، فقد وجدتُ نفسي طفلاً أعيش في قرية ليست قريتي ومع أناس ليسوا أهلي، و لذنبٍ لم أرتكبه بل ارتكبته أم جدي التي آثرت نفسها على الجميع، وأخذت حقاً لم يكن يوماً ملكاً لها، مما دفع أبناء العمومة على قتلها وإلقاء جثتها في أحد حقول القرية بعد أن قطعوا رقبتها وحرقوا بيتها، وشارك فيه جدي عندما قتل أحد أبناء عمومته وفرَّ هارباً بنا إلى هنا، بعد رحلة سفر طويلة كنت مازلت طفلاً حينها، لم أتذكرها ولم أعرف حتى ما سببها، مرت الأيام ومات جدي و توفت جدتي ولم يتبقَّ سوى أبي وأمي وأنا، وثلاثتنا لم يقم بأي جرم يستحق عليه أن يُنفى من قريته وأهله ليجد نفسه في قرية ليست قريته وبين بشر لم يكونوا يوماً أهله، ولأن القدر لم يكن عادلاً معنا بالقدر الكافي، لم يكتفِ فقط بتهجيرنا ولا تشردنا، وذات ليلة في فصل الشتاء كنت مازلت طفلاً حينها لم أتجاوز الثانية عشر من عمري، وبعد منتصف الليل في ليلةٍ حالكة السواد إذا برجلين ملثمين يدخلون بيتنا الذي يوجد في أحد أطراف القرية، دار حديث بينهم وبين والدي لم أجد عناءً في فهمه، فقد كانوا أبناء الرجل الذي قتله جدي، طافوا الأرض شرقاً وغرباً بحثاً عن جدي لقتله، وعندما علموا بأن جدي قد

مات وقع الاختيار على والدي هذه قوانين الصعيد ومتطلبات الثأر لا يمكنك أن تحيد عنها.

بدأ أحدهم بالحديث قائلاً لأبي؛ أتظن أن هذه الأرض مهما كبرت تستطيع أن تنقذكم من فعلتكم؟!!

فرد عليه أبي قائلاً؛ أنا لم أفعل ذلك بل فعله أبي قصاصاً لأمه وهو الآن ميت.

فرد عليه بحدة؛ إذا كان قد مات أبوك فأنت من دمه ولحمه وصلبه وستدفع ثمن جرم أبيك.

حاول أبي أن يقنعه بشتى الطرق أنّ لا ذنب له فيما حدث، بل هو أيضاً يدفع الثمن ولكن كيف لأخرس أن يقنع أعمى وأصم؟!!!

فباغته أحدهم بضربه على رأسه سقط على أثرها أبي أرضاً، وقام الآخر بمسكي مهدداً بي أمي وأنها إذا أصدرت صوتاً سيقوم بقتلي، فأطلقت أمي صرخات مكبوتة ودموعها تنهمر كالجمر من عينيها ولكنها التزمت الصمت، يبدو أنها قررت أن تشتري حياتي، وبعد أن سقط أبي أرضاً قام ذلك الرجل الضخم بلف ثوبه حول عنق أبي حتى تأكد من موته، وبعدها قال لأمي؛ سنخرج الآن ولكن احذري إن أصدرتِ أي صوت سنعود لقتل هذا الطفل، وفرّوا هاربين...

جلست أمي تحتضنني تارة وتحتضن جثة أبي تارة أخرى وتبكي.

لا أعلم كيف مرّ الوقت ولكن لأنّ البيت في أطراف القرية لم يسمع أحد بما حدث طوال الليل، وظللنا هكذا حتى بدأت الشمس في شروقها، بدأت أمي تصرخ صرخات عالية ومتتالية يبدو أن ما أخفته بين أضلاعها طوال الليل من حزن كان حِملاً ثقيلاً تتخلص منه الآن.

اجتمع أهل القرية على صراخ أمي، ولكنها لم تخبر أحداً بما حدث وأنا أيضاً لم أخبر أحداً بذلك كما حذرتني، ولكني على يقين أن هناك من أهل القرية من فهم الأمر دون أن نشرحه، قاموا بدفن أبي وبقيت أنا وأمي وحيدين في هذا المنزل الذي قتل فيه أبي أمام عيني، حقيقة أهل القرية لم يتأخروا في مساعدتنا في أمور الحياة وفي رعاية أرضنا، والمساعدة في تكاليف دراستي، فقد كنت متفوقاً في دراستي، كانت الأمور تسير بشكلٍ جيد خاصة بعد وفاة والدي، والدي الذي لطالما تمنيت أن أحبّه مثل باقي الأطفال، حاولت جاهداً فعل ذلك ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل، كم كنت أتمنى أن يكون لي الحق في اختيار والد غيره، فقد كان شديد القسوة معي ومع أمي، كانت دائماً تنام وهي باكية بسبب قسوته وإهانته لها، كان دائماً متوتراً لا نرى ابتسامته وبشاشة وجهه إلا إذا تحدث مع أحد من أهل القرية، كان دائماً يضربني حتى

من غير أسباب تستحق، لم يجلس معي يوماً لينصحني ويسمعني كما يفعل الآباء مع أولادهم، لا أذكر يوماً ذهب معي فيه إلى المدرسة كما كان يفعل الآباء، حقاً كان قاسياً لأبعد الحدود، كان يتلذذ بإهانتي وإهانة أمي أمام أهل القرية ولا أدري ما السبب!!

ألم يعلم حينها كم كنت أموت في الدقيقة الواحدة ومع كل كلمة إهانة يوجهها لي ولأمي أمام أحد؟!!

ألم يعلم كم كنت أشعر بالنقص والتفاوت بيني وبين أطفال القرية من كلماته تلك؟!

يا له من وجع كان ينتابني عندما أتحدث مع أحد من الأطفال ويذكرني بإهانة أبي لي!!

كان قلبي يتمزق وأشعر حينها بالندم لأني ولدت ابناً لهذا الرجل!!

ولكن لأني عنيد منذ صغري وأحبُّ دائماً قلب الأشياء لصالحي حتى وإن كانت سيئة وأكره الخسارة أمام طعنات السيوف التي يطعنني بها أطفال القرية، كنت دائماً أبحث عن شيءٍ أعوض به نقصي الذي أشعر به معهم، ووجدت ضالتي تلك في المدرسة، فقد بذلت قصارى جهدي لأكن متفوقاً عليهم رغم قلة الإمكانيات التي أمتلكها، وساعدتني أمي في ذلك أمي التي

أحببتها حد الجنون، هذه المرأة التي ثابرت وصبرت من أجلي، كانت تسمع كلمات أبي التي كانت وكأنها سهام بها سمٌّ زعاف يستقر في صدرها، كنت دائماً أسمع بكاءها وعندما أقترب منها تمسح دموعها بكفها وتخبرني أن الهواء قد حمل الأتربة إلى عينيها وهو ما تسبب في هذه الدموع، أيُّ امرأةٍ هذه وكيف يمكنني رد الجميل لها؟!!

كنت دائماً أردد هذه العبارة في نفسي.

ورغم أنها كانت لا تجيد القراءة ولا الكتابة، إلا أنها كانت دائماً تخبرني أن هذه الكتب سوف تكون سبباً في حياةٍ أفضل لي، كانت تشجعني ولأجلها وأجل كلامها أحببت الدراسة وكنت متفوقاً، كنت أعشق تلك اللحظات التي أقضيها في المدرسة ولمَ لا؟ وهنا فقط كنت أشعر أنني ندٌّ لأطفال القرية إن لم أكن متفوقاً عليهم، ولكن يبدو أن القدر قد رفض وأبى إلا أن تكون طفولتي بائسة من كل شيء، لم يكتفِ فقط باسمي الذي لم أحبه قط، ولا بعدم وجود خال أو عم ولا من أب سكير عربيد يتفنن في إهانتي وإهانة أمي، ولكن حتى المدرسة التي كنت أفرح بها، وسعيد بتفوقي فيها جاءت فيها الرياح بما لا تشتهي السفن، فكان حالي فيها تماماً، كمدٍ وجزرٍ في يومٍ بحرهُ هائجٌ لا تعرف من أين يأتيك الخطر، وكزمنٍ ظننته دائمَ النعم عليك فأثبتت

طياته أنّك قصير النظر، وكغيومٍ كثيفةٍ رأيتَها بعد جفافٍ احتفلت بها مسبقاً فغيرت الرياح مسار المطر، هكذا كان حالي حتى في المدرسة، ففرحتي بالذهاب للمدرسة وتفوقي فيها، كانت دائماً تندثر عندما يقوم مدير المدرسة بإخراج الطلاب الذين لم يدفعوا مصاريف الدراسة، كنت دائماً أكون أولهم، ولأننا في زمنٍ يحكمه المال لم يكن يشفع لي تفوقي، ذات يوم لم يكتفِ مدير المدرسة ذلك الرجل الأصلع فقط بإهانتي وضربي لأني بتُ الوحيد في المدرسة الذي لم أدفع المصاريف، ولم يكتفِ بأنه كان سبباً في ضحكات الأطفال عليّ بسبب كلماته التي لا تخف حدة ولا قسوة عن كلمات والدي، بل قام بطردي من المدرسة وأمرني ألّا أعود إلى المدرسة إلا ومعي ولي أمري أو المصاريف الدراسية، خرجت من المدرسة عائداً إلى البيت وأنا أبكي وأفكر كيف أخبر والدي بالأمر؟!!!

فهو لن يهتم وربما قد يأمرني بعدم الذهاب إلى المدرسة، آاااهٍ ماذا أفعل؟!!!

وصلت إلى البيت ولحسن حظي كان أبي غير موجود فهذه أكثر لحظاتي سعادة التي يغادر فيها البيت لقضاء أمرٍ ما، هنا فقط أستطيع أن أفرح وأتكلم مع أمي.

وعندما وصلت إلى البيت ورأتني أمي قامت مسرعة وسألتني؛ لماذا عدت قبل أن ينتهي اليوم الدراسي؟!!!

فأخبرتها بما حدث من ناظر المدرسة، وكيف جعل الأطفال يسخرون مني وسال دمعي رغماً عني، فاحتضنتني بقوةٍ وحاولت أن تهدئ من روعي وأخبرتني أنها سوف تخبر أبي حال عودته، وهو لن يعارض فهذا مستقبل ابنهم الوحيد، لا أعلم إن كانت أمي تصدق ما تقوله حقاً أم هي فقط تحاول تهدئتي؟!!!

أنا شخصياً رغم طفولتي ولكني أعرف أنه لن يهتم.

انتهى النهار ونحن في انتظار عودته ولم يعد، وبعد انتصاف الليل غلبني النوم بجوار أمي التي لا زالت تنتظره، وبينما أنا نائم استيقظتُ فزعاً على صوت أمي تبكي فقد نهرها وضربها لأنها طلبت منه أن يذهب معي إلى المدرسة، فقد عاد ثملاً رائحة الخمر تفوح منه، ولا يدري ماذا يفعل؟!

احتضنتني أمي وقالت لي: نم يا بني ولا تقلق غداً سوف يحلها الله.

في اليوم التالي استيقظت مبكراً ولا أعلم كيف سيحلها الله ولكن أمي أخذتني وذهبت معي إلى المدرسة، ورغم أنني أحبها ويشرفني وجودها معي أكثر من أبي، إلا أنني كنت في قمة الإحراج والخجل، فهذه ربما تكون أول

مرة تحضر امرأة إلى مدرسة لتكون ولياً لأمر طفل، حتى من مات أبوه يحضر عمه أو خاله.

تحدثت أمي مع أعضاء ومدرسيّ الشؤون في المدرسة طويلاً لم أسمع ما كانت تقول، ولكني على يقين أنها توسلت لهم وربما سالت دموعها لأجلي، في النهاية وافقوا ولم يتكلم أحد معي بأمر المصاريف حينها، كانت كل هذه الأمور سبباً في قلة حديثي مع الأطفال رغم أنني كنت أتمنى أن أعيش تلك اللحظات كاملة معهم ومثلهم، ولكن معاملة أبي لي جعلتني أشعر بالنقص مقارنة بهم، كان الجميع يعتقد أن قلة كلامي تلك هي ميزة أمتازُ بها عن أطفال القرية، ولكنهم حمقى، نعم حمقى، الأطفال تعشق الثرثرة والحركة واللعب، هذا الأمر قد يكون ميزة لكبار السن أما لنا نحن الأطفال فهو طامة كبرى، وداء لابد له من دواء.

كنت أسعى دائماً وأحاول جاهداً أن أنسى هذه الفوارق بيننا وأنخرطُ وسطهم ناسياً حزني ولكن كيف لي أن أنسى الحزن ما دمت أذكره وهل تخمد نار زدتها حطباً؟!!

وكيف لا أذكر وكلما حاولت نسيان ما مضى يأتي والدي ليصنع لي حاضراً أشد قسوة وأكثر إيلاماً أمامهم، مرت طفولتي هكذا... يأسٌ يتملكني أحاول

طرده لكن دون جدوى، شعورٌ بالنقص وقلة الحيلة ولكن ليس لي سبيل للخروج منه، تماماً كما من وضع رأسه بين فكيّ الأسد وينتظر أن يخرج سالماً، ولكن الأسد كان جائعاً ولا أمل لوجود سلام ورأسي بين أنيابه، وعندما وصل الرجل إلى بيتنا في تلك الليلة المشؤومة ومعهم أمر من عزرائيل بقبض روح والدي قصاصاً لأبيهم الذي قتله جدي، نام الأسد قليلاً بموتِ أبي فاستطعتُ بعد معاناةٍ أن أُخرجَ رأسي من بين أنيابه ولكن الندبات والجروح والتشوهات لازالت محفورة في جسدي.

يوم وفاته حقيقة لا أعلم ما هو الشعور الذي انتابني حينها؟!!!

فأنا أعلم أن الموت موجع وكان من الطبيعي أن أحترق من داخلي على وفاته، ولكن هذا لم يحدث، بل ربما كنت فرحاً بوفاته لأن معها سوف تنتهي إهانتي أنا وأمي وإلى الأبد، ستنتهي تلك العبارات التي لطالما شعرت معها بالفارق بيني وبين الأطفال، فعلمت حينها أن وجع الموت هو أخف حدة وأقل وجعاً من أولئك الذين يموتون فينا وهم أحياء، فما أبشع أن يصبح قلب المرء قبراً لشخص ما زال يمشي على الأرض!!

حتى في تلك الأيام التي كانت أمي تجبرني فيها على الذهاب لزيارة قبر أبي معها كنت أقف على مقربة من قبره ولكني أشعر أن بداخلي من الجفاء ما يجعل

المسافة بيني وبين قبره أكبر من تلك المسافة بين الأرض والسماء، استطعت بعد وفاته أن أسقط ذلك الحمل الذي أرهق كاهلي لسنوات طوال، بدأت ألعب وألهو وأفرح كما يفعل الأطفال، حتى فارِقَ الإمكانيات حينها بيني وبينهم لم يوقفني، استطعت الخروج من قوقعة الحزن التي لطالما عشت بداخلها، بعد وفاته استنشقت هواء الحرية كما سجين خرج لتوه من سجنه، مرّت الأيام وأهل القرية يساعدوننا قدر المستطاع فيما نحتاج كوني الآن غريب ويتيم بينهم، تضاعفت المساعدات، فكنت أرتدي ثياباً أفضل من بعضهم، حتى مدير المدرسة الأصلع ذلك الملعون الذي كرهته مثل والدي لم يستطع بعدها أن يخرجني من المدرسة لعدم تسديد المصاريف الدراسية، صحيح أن كل شيء على ما يرام الآن والأمور تجري بشكلٍ جيد لكن ندبات وتشوهات تلك الفترة التي عانيتها في حياة أبي لازالت موجودة وتلاحقني من حين لأخر لتفسد عليّ فرحتي وكأنها تذكرني وتردد؛ لا تنسَ أصلك أيها البائس الحزين المهان، ولكني كنت دائماً أحاول أن أنسى أمر ذلك القفص الحديدي الذي عشت فيه سنوات طفولتي، وأحلّق الآن كما طائر بين سربه، كنت اسمع كلمات الأطفال عن حبهم لآبائهم وأستغربُها!!

وفي بعض الأحيان أستنكرها وأظن أنهم ممثلون بارعون يبدعون في أداء أدوار الحب.

حتى في تلك المرات القليلة التي كنت أخرج فيها عن صمتي وأبوح لهم عن كرهي لأبي لم يفهموني،

وكيف لهم أن يفهمونَني؟

وهم لم يمروا بما مررت به!!!!

وكيف لهم أن يفهمونَني؟

وهم لم يسهروا دقيقة واحدة من تلك الساعات التي قضيتها في حضن أمي تبكي ليلاً!!!!

وكيف لهم أن يفهمونَني؟

وهم لم يحزنوا مثلي على أشياء تمنيتها ولم تأتِ لي كما الأطفال!!!!!

وكيف لهم أن يفهمونَني؟

وهم لم يروني وأنا أحترق من داخلي على إهانة أبي لي ولأمي أمامهم!!!

وكيف لهم أن يفهمونَني؟

وأنا لا أذكر آخر مرة احتضنتني فيها برفق كما تفعل آبائهم معهم!!

وكيف لهم أن يفهمونَني؟

وأنا كنت أعيش منعزلاً عنهم في لعبهم ولهوهم!!

وكذب من ادعى أن في العزلة مفترق طرق، لا يا عزيزي الكاذب ليس هناك في العزلة مفترق طرق، هناك فقط طريق واحد يؤدي بك إلى الازدهار أو الاندثار، الأمر يعتمد على المناعة الروحية للمنعزل، ومناعتي الروحية كانت هشة لا تتحمل فقد كنت طفلاً حينها.

كم كنت أتمنى أن أخبرهم بحقيقة أني لست بخير والأمور معي ليست على ما يُرام وأن بداخلي حطام عظيم.

كم كنت أتمنى أن أخبرهم أن كلمات أبي القاسية التي كانت سبباً في تعالي أصواتكم بالضحكات عليّ، تنهش في عقلي وتكاد أن تخنقني وتخلق وسواساً في ذهني.

رغم أني كنت أتظاهر أمامهم بالثبات حينها، وأردد ما تقوله لي أمي رغم عدم اقتناعي به، بأن هذا والدي ولا عيب إن سَبني أو أهانني أمام أحد، ولكن في الحقيقة كنت على وشك الانهيار.

مر أربعة أعوام على موت والدي حاولت التأقلم مع حياتي الجديدة، أصبحت أضحك كثيراً، وأستعيدُ بعضاً من تلك الثقة التي قتلها اليأس وكلمات أبي

القاسية في طفولتي، تناسيت كل شيء في تلك الفترة البائسة، وانغمست أكثر وأكثر بين أهل القرية، الأمور باتت أكثر من رائعة بيني وبينهم.

وذات يوم أصابني المرض وارتفعت درجة حرارة جسدي مما أجبرني أن أكون طريح الفراش، زارني كل أهل القرية حتى النساء ففي البيت لا يوجد إلا أنا وأمي، كان كل منهم يأتي محملاً بالكثير من الطعام فهذه عاداتهم، وذات مساء جاءت زوجة أحد كبار القرية إلى بيتنا لزيارتي ومعها الكثير من الأشياء، وكانت معها فتاة جميلة أعرفها جيداً، وكل من في القرية يعرفها، فقد كانت أكثر بنات القرية جمالاً وتهذيباً رغم صغر سنها فقد كانت أصغر مني بعام، كانت تختلف عن أطفال القرية في كل شيء، لا تلعب معهم وكانت من أكثرهم تفوقاً في الدراسة، كان البعض يعتقد أنها كذلك لأنها ابنة واحداً من كبار القرية، ولكني أعلم يقيناً أن الله هو من جملها بهذا الجمال وهذا الهدوء وهذا الحياء، فما أجمل أن تجد أنثى حقيقة في صوتها وجمالها وأفعالها وهدوئها في مجتمع كثر فيه الذكور وقل فيه الرجال، وزاد فيه عدد بنات حواء وقل منهم من تمتلك الحياء.

ورغم أنني كنت أراها دائماً إلا أن نظرتي لها هذه المرة كانت تختلف عن كل سنوات عمري الماضية التي قضيتها وأنا أراها، فعندما دخلت عليّ شعرت

وكأن قلبي انتفض من مكانه، وشعرت بهزة ورعشة في كل أنحاء جسدي عندما رأيتها ولما لا؟

فاليوم جاءت لتزورني أجمل فتاة في القرية، والتي لم أستطِع يوماً أن أنظر إليها أنا أو أي من شباب القرية، ليس فقط لأنها ابنة واحدٍ من كبار القرية، ولكن لأنها كانت تمتلك من الجمال والحياء والهيبة ما يفوق هيبة أبيها.

لم أعلم حينها هل أنا في حلم أم واقع؟!!

كنت أنظر إليها ولا أصدق عيني، هل الأميرة التي لطالما حلمت بنظرة تمعن واحدة في عينيها الجميلة معي الآن وبجواري؟

كان صوتها وهي تتحدث كالدواء الذي هاجم الداء في جسدي وأرداه قتيلاً، لم أعلم كم من الوقت مر وهي في بيتنا وأنا انظر إليها، وأحفظ كل حرف تردده قبل الكلمة، كم تمنيت أن تقف عقارب الساعة ولا تتحرك لتبقى هذه الملاك بجواري وإلى الأبد أسمع صوتها وأنظر إليها عن قرب.

لو كنت أعلم أن المرض سوف يجعلها قريبة مني هكذا، لتمنيت أن أعيش عمري كله مريضاً لأجل أن أراها.

مرَّ الوقت سريعاً واستأذنت أمها بالانصراف، عندما خرجوا شعرت وكأن روحي تخرج من جسدي لتذهب معها، كم كنت أتمنى أن تقسم أمي عليهم

بأغلظ الأيمان وبكل ما أوتيت من قوة ليجلسوا بعضاً من الوقت ولكن هذا لم يحدث.

خرجوا وجلست صامتاً لا أريد أن أتحدث بعد الأن مع أحد، وأخذت أردد تلك الكلمات العادية التي نطقت بها شفتيها ولسانها، كنت أرددها كي أحفظها فهذه أول مرة تتحدث بجواري وأسمع صوتها الفضفاض، حتى أنني أتيت ببعض الأوراق ودونت فيها كل الكلمات التي نطقت بها خوفاً من أن يجبرني المرض على نسيان شيء منها، خرجت هي وعادت إلى بيتها ولكن ما حدث جعل ذلك الوحش النائم داخلي يخرج، و يهاجمني بشدة، نعم خرج حبي لها وطفا على سطح جسدي وعقلي كما وحش كاسر لا يمكنني إيقافه عن مهاجمه جسدي وقلبي وعقلي والعبث بهم، خرج وكأن وجودها كان طلاسم وتعاويذ أحضرت شيطان الحب في جسدي ولا يمكن صرفه بعد ما تملك جسدي، وقفت حائراً، مرت ليلتي لا أعلم كيف مرت ولكن ذلك الحلم الجميل الذي أخفيته بداخلي رغماً عني لسنوات كان بجواري الآن وعاد ليطفو على سطح أفكاري ويتملكني، حاولت جاهداً طرد هذا الوحش الذي بدأ ينهش في جسدي وسعيت لتهدئته ولكن دون جدوى، فها هو الآن قد استيقظ بعد إجباري له على النوم لأكثر من عامين، أما الآن فلست قادراً على

أن أعيده إلى قوقعته من جديد، أحاول أن أخبره أن هذا وهم لن يتحقق ولكن كيف أقنعُ أعمى وأبكم وأنا أقف أمامه أصم؟

مرت أيام ولم أرَها فلازلت طريح الفراش رغم أني نسيت أمر مرضي الحقيقي، وأصبح حبي لها هو مرضي الذي أسعى لإيجاد دواء له، فأنا على يقين أني لست ذلك الشخص الذي تحبه أو تقع في غرامه أميرة وملكة مثلها وابنة أحد كبار القرية.

حاولت أن أقنع نفسي أن مجيئها إلينا مع أمها ما كان إلا عطفاً وكرماً من أناس شيمتهم الكرم ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل.

فأيقنت أني أحببتها، نعم أحببتها حباً حقيقياً، والحب الحقيقي هو؛ العطاء بلا مقابل، هو التضحية،

الحب الحقيقي؛ أن تتقبل من أحببت بكل عيوبه وتحبها مثلما تحب ميزاته ومحاسنه، رغم أنها لم تكن بها عيوب في عيني فقد كنت أراها دواءً لدائي، ونوراً في طريق ظلمتي، وشمسي وقت بردي، وليلي وقمري، أحببتها حباً حقيقياً والحب الحقيقي هو؛ أن أتمنى لها السعادة حتى لو لم أمتلكها، الحب الحقيقي؛

أن تظل على ذكري من تحب حتى لو كان بعيداً عنك، الحب الحقيقي؛ ألّا تنتظر ممن تحب أي شيء فقد كنت أشعر أني امتلكت الدنيا وما فيها عندما أرى ابتسامتها على شفتيها وأنا أنظر إليها خلسة كما يفعل اللصوص، الحب الحقيقي؛ هو أن تضحي وتتعب من أجل من تحب، وأنا لم أكن فقط مستعداً للتضحية والتعب ولكن يشهد الله كنت على أتم الاستعداد أن أقدم حياتي قرباناً لابتسامة واحدة من شفتيها، الحب الحقيقي؛ هو ذلك الحب الذي يزداد بالتدريج ومع مرور الوقت، الحب الحقيقي هو؛ أن تغادر بكل هدوء عندما يطلب منك من تحب ذلك دون أن تتحول الحياة إلى ساحة حرب لا بد فيها من فائز يتم تنصيبه وخاسر يعلن فروض الولاء والطاعة، الحب الحقيقي هو؛ أن تظل وفياً لمن تحب حتى بعد وفاته حافظاً لوصيته، فالذي يحب بصدق لا يمكن أبداً أن يخون والذي يحب لا يرحل تاركاً من أحبه تائهاً في بحر من الظلمات، الذي يحب لا يتجاهل فالتجاهل مميت حد الموت، والظروف التي نظلمها دائماً ونجدها شماعه نعلق عليها أخطاءنا في الحب وعدم وفاءنا فيه، بريئة من كل شيء كبراءة الذئب من دم يوسف.

أحببتها حقاً ولكن كيف أخبرها بحقيقة حبي لها؟!!

هل أخفي ذلك الحب في ذاكرتي ووجداني أم أخبرها أني أحببتها كثيراً، وأحببتها بالطريقة التي لم تحب هي نفسها بها؟

وقفت حائراً بين عقل يعلم جيداً خطورة هذه الخطوة، ليس فقط في ما قد تدره عليّ من مشاكل جمة من أخوتها وأهل القرية لو علموا بالأمر فهذا حقيقة لم يعنيني كثيراً، فقد أحببتها وانتهى الأمر والقلوب بين يديّ الله يقلبها كيفما شاء، ولكن الخوف الحقيقي أن أخبرها فترفض هي ذلك الحب الجامح الذي اجتاح كياني، وتقتل فرحتي بداخلي مدى الحياة، وكيف لا أخاف وهي فتاتي الصغيرة التي لطالما أحببتها ومازلت أفعل، لكني لم أخبرها ولم تعلم حتى اللحظة أنّي لا أملك في الدنيا إلا عينيها وأحزاني، وكيف لي أن أخبرها أني مولع بحبها و بالطريقة التي تتحدث بها، وبين قلب يحبها ويريد أن تعلم بذلك الحب أياً كانت النتائج؟!!!

ظللتُ هكذا ما يقارب الأسبوع كلما تذكرت الأمر الذي لم أنسَه قط، يشبُّ صراع بين قلبي وعقلي ينتصر فيه القلب لوجود وحش كاسر معه في معركته، وبعد معاناة أخلد في سبات نوم عميق.

وفي اليوم الخامس إذا بباب بيتنا يطرق، فتحت أمي الباب، سمعت صوتها عند الباب، تملكني الفرح، نسيت مرضي وخرجت مسرعاً من غرفتي لأنظر

إليها وأتأكد أنها هنا حقيقة وليست حلماً في منام، وقفت عند الباب متسمّراً أنظر إلى عينيها بلهفة واشتياق كما لو كانت غائبة عن نظري منذ خمسة قرون وليس خمسة أيام، فقد كان الحظ بخيلاً معي طوال تلك الأيام الخمس، وعندما تحب شخصاً ويكون الحظ بخيلاً في اللقاءات بينكم، ثق بأن حبك لهذا الشخص سيكون أعمق من حب شخصين يلتقيان يومياً، فحين تلتقي بمن تحب بقلةٍ فأن جنونك به يزيد، تتذكر دائماً كلماته في كل مرة وترددها حتى تحفظها عن ظهر قلب، وتبقى جزءاً من كلامك وتنتظر لقاءكم القادم على أحر من الجمر، وأحياناً من شدة فرحتك بلقاء من تحب قد تحلم بذلك اللقاء وتتخيله كثيراً في صمت، شارداً في بحرٍ من العشق والحب، في اللقاءات القليلة بين المحبين قد لا تفارق نظرتهم ولمعه أعينهم مخيلاتنا مدى الحياة، هذا شعور غريب نعم أعرف أنّه غريب ولكنه شعور لا يشعر به إلا عاشق متيم أو محب أحب بصدق.

وقفت عند باب غرفتي أستنشق فقط الهواء الذي أصبح عطرها جزءاً منه وأسمع صوتها وأُمعن النظر في عينيها غير مبالٍ بما جاءت من أجله، المهم أنها هنا الآن وأنظر إليها، وأتوه عشقاً في محراب عينيها.

لا أعلم كم من الوقت مر وأنا هكذا ما انتبهت إلا على صوت أمي تسألني ماذا نفعل إذاً؟

فقلت:

_هاااه !!! في ماذا يا أمي؟

_فقالت: إن المدرسة أرسلت إليك إخطاراً بالفصل لتغيّبك طوال هذه المدة ولابد أن نرسل لهم أوراق وشهادات الطبيب حتى لا يتم فصلك من المدرسة هكذا تخبرني إيمان ألم تسمعها؟

_فقلت لها: بلى يا أمي سمعتها، سمعت كل حرف قالته.

_فقالت أمي: إذاً ماذا سنفعل؟

_فقلت لها: غداً سأحاول الذهاب إلى المدرسة وأعطيهم الأوراق.

ولكن أمي تعلم شدة مرضي فقالت:

_لا لن تذهب أنت مريض وأنا سوف أذهب بها غداً بدلاً منك.

فقالت إيمان مبتسمة:

-لا أنتَ ستذهب، لأنك مريض ولا أنتِ ستذهبين وتتركيه وحيداً، فقط أعطوني الأوراق وآخذها معي غداً، في الصباح وأنا ذاهبة سأمر عليكم.

شكرتها وشكرتها أمي كثيراً، واستأذنت هي بالذهاب إلى بيتها.

دخلت غرفتي ناسياً أمر الأوراق وأمر المدرسة فليذهبوا إلى الجحيم الآن، كنت أشعر أن قلبي يتراقص فرحاً، لا أعلم ما سبب تلك الهزة القلبية التي انتابتني، أغمضت عيني لأستعيد نظراتها وصوتها، وانتفض ذلك الوحش بداخلي أكثر أنا لا أقوى على التحمل أكثر، لابد أن تعرف بحبي لها وليكن ما يكن ولكن كيف؟!!

حلَّ الظلام وبدأ الليل وأنا أفكر فيها وفي كلماتها، قررت عدم أخذ الدواء هذه الليلة لأراها في الصباح قبل أن تذهب إلى المدرسة، فهي قطعاً سوف تأتي لتأخذ الأوراق من أمي، وأنا أخشى أن يغلبني النوم ولا أستيقظ في الصباح وأراها لذا لن أخذ الدواء.

جلست ليلتي اتقلب على سريري أنتظر الصباح، ويا لها من ليلة كانت طويلة، الدقائق فيها تمر كما السنوات، وبعد انتصاف الليل حيث الهدوء خيّم على القرية كاملة، وجدت نفسي أتقلب بين أفكاري أريد أن أخبرها عن ذلك الحب الذي استطعت أن أدفنه سنوات، ولكني الآن لا أستطيع أن أجعله يهدأ ولو ثواني، فقد أصبح كموجٍ هائجٍ يجتاح جسدي، تارة أفكر أني في الصباح سأخبرها أنني أحبها ولكن كيف لكلمة مثل هذه أن تفسر وتصيغ ما يدور بداخلي!!!

أنا حقاً بحاجة إلى عمرٍ كامل لأخبرها عن حقيقة حبي لها، وكيف أراها في نظري، وكيف لي أن أجد تلك الشجاعة التي تجعلني أقف في محراب عينيها وأخبرها؟!!

إذاً ماذا أفعل؟

آاااااه... التعب يتملكني وهذا الحب لا يمكنني إخفائه بعد الآن مهما كلفني، وما ذنبي والقلوب بين يدي الله يقلبها كيفما شاء!!!

قضيت ليلتي هكذا كلما استجمعت قوتي وقررت أن أخبرها بطريقة ما يتملكني إحساس الخوف من رفضها هذا الحب وقتها ستكون قررت موتي دون أن تدري، ماذا أفعل؟!!

الفرصة سانحة غداً في الصباح ربما لا تتكرر ثانية عليَّ بإيجاد حل؟!!

بت الليلة كامله أتقلب في سريري أحتضنُ وسادتي تارة وأحتضنُ أوراقي تارة أخرى، أقرر أن أخبرها تارة والخوف يتملكني تارة!!

وفي النهاية استسلمت للوحش الذي بداخلي وقررت، أن أكتب لها ورقة أضعها وسط أوراق الطبيب أعبر لها فيها عن حبي، وأمي لا تجيد القراءة ولا الكتابة فلن تعرف محتواها، وتقرأ هي هذه الورقة وإن رفضت الأمر سوف أقول أنّ تلك الورقة وقعت مني سهواً بين الأوراق، ولكن احذر يا أنا عليك

أن تكون كلماتك منتقاة بعناية حتى لا تخسر صداقتها وحقك في رؤيتها إن رفضت ذلك الحب، ولنجعلها تصدق أن الورقة سقطت سهواً وليس لها، أخذت قلمي وبعض الأوراق وجلست أكتب وأصيغ، وأقطّع الأوراق واحدة تلو الأخرى، فهذه الورقة فيها عبارة ستفهم منها أنها المقصودة، وتلك الورقة لم تكتب بخط جيد، وهذه الورقة ليس فيها الكثير من الأحاسيس التي أشعر بها، وكيف لي أن أجعل حبي ليها في ورقة ويصيغهُ حبر قلم؟!!

أنا بحاجة إلى عمرٍ فوقَ عمري وأوراق العالم كله وحبره لن يكفيني!!!

مرت الليلة، بدأ بزوغ الشمس يلوح في الأفق وقد اقترب ميعاد مجيئها عليك أن تسرع يا أنا!!!

فكتبت إليها رسالة كالتالي:

"حبيبتي ومعشوقتي إيمان، في البداية... أرسل لكي سلامي ومشاعري، فتقبلي سلامي وأرجو ألا تغضبي من مشاعري، وألّا تركضي بين السطور سريعاً لتعرفي نهاية أسراري، فلا سرّ في حياتي غيرك يا كل أنواري.... لن أتحدث كثيراً فكل الكلمات وإن عظمت في حقك قليلة، وهذه رسالتي الأولى إليك فامنحيني بعضاً من الثواني وأعدك أنني لن أطلب المزيد، أحببتك، نعم

أحببتك وهذا منذ زمن بعيد، وأحبك الآن وهذا لا شك فيه، منذ أن التقيتك وكل ما في حياتي أصبح ملكاً لكِ، تفكيري، روحي، عقلي، حتى أيامي. نعم أنتِ أصبحتِ حياتي حتى لو لم تكوني تعلمي، فقد كنت ومازلت أراك الحياة، كنت أعلم يقيناً أنكِ لا ترينني وأنا أمامك العين بالعين، ونبض قلبي يسمعه طير السماء، فيطير حولي ويغني لي ويواسيني.

سنوات مرت وأنا بجوارك وأخشى أن تعرفي مدى شوقي وحبي لك، وأتمني في ذات الوقت لو تعرفي رغم خوفي.

كنت رغم خوفي أتمنى أن تعرفي أن هذا الرجل أفنى عمره في عشقك، وأنتِ لا تدرين كم الألم الذي حفره حبكِ بقلبي، فكم من مرة أوشكت أن أبوح لكِ بحبي وتراجعت؟!!

وكم مرة قتلتِني حين ابتسمتِ لغيري رغم عشقي لابتسامتك، كم مرة شعرت بالمهانة والإذلال حين اعتقدت أنكِ تقتربين مني لتبوحي لقلبي وتخبريه أنكِ تعلمين أنه يحبك، ولكنك كنتِ تقتربين لتلقي السلام ليس أكثر ولا أقل، صدقيني ليالٍ طوال ومرات عديدة تمنيت ألّا ألقاك وتمنيت لو أن الأقدار فرقتنا قبل اللقاء، فأنا أعلم جيداً أن حجم الفرق بيننا يفوق

الفرق بين الأرض والسماء، ولكنها القلوب بين يديّ الله يا حبيبتي يقلبها كيفما شاء زارعاً فيها الحبّ أو الجفاء.

أعلم أنك تتساءلين في هذه اللحظة، لماذا أقول هذا الكلام الآن؟ ولماذا هذه الشجاعة بعد هذه السنوات؟

سأخبرك، حقيقة هذه ليست شجاعة كما توهمتِ فجسدي الآن يرتعش من الخوف كشجرة تعنفها الرياح، ليس خوفاً من أحد بقدر ما هو خوفٌ من خسارتي لكِ وإلى الأبد بعد هذه السطور، ولا تعتقدي أني أحمق أبعث إليك برسالتي هذه أملاً في حبك!!!

وإنما هي حروف رجل مبعثرة جمعها بخوف وبعثها بيأس، نعم أنا أعلم أنّ هذه الكلمات قد تكون سبباً في خسارتي لك وإلى الأبد، كم تمنيت أن أدفن ذلك الحب داخلي، ولكنه هزمني بعد صراع طويل معه، فقط كل ما أردته من كلماتي أن أريح قلبي المكلوم.

أحبك جداً وهذا شيءٌ لم أندم عليه، نادمٌ فقط لأنكِ لم تعرفيه، وهذا أمر لا ذنب لك فيه. وفي النهاية سلامي وحبي ولتعِشي دوماً سعيدة".

أنهيت الكتابة ويبدو أنني كنت فعلاً حذراً بالقدر الكافي الذي لا تعرف منه أنّ الرسالة لها، فلم أذكر اسمها إلا مرتين قد سقطوا مني سهواً، من آلاف

المرات التي نطق بها قلبي أثناء الكتابة، طويت الورقة ووضعتها على أوراق الطبيب وانتظرت، لم يمر وقتٌ طويلٌ، طُرِقَ باب البيت كانت أمي قد استيقظت وفتحت لها الباب فقالت لها: صباح الخير هل جهزتِ الأوراق؟ رد قلبي قبل أن ينطق لساني هذا فقط ليس صباح الخير ولكنه كل الخير وكيف لا؟ وهي أجمل وأحب وجه أراه وقلت لها: ها هي... فأخذتها، نظرتْ فيها سريعاً واستقر نظرها للحظات على تلك الورقة التي كتبت بخط يدي ونظرت لي، لم تتكلم ولكني أعلم يقيناً أنها فهمت ما أقصده، فوضعت الورقة وسط أوراق الطبيب واستأذنت بالانصراف كي لا تتأخر على المدرسة، كانت هذه هي مرتي الأولى والأخيرة التي لم أفهمها فيها، لا أعرف إن كانت نظرة رِضاً أم نظرة غضبٍ تلك النظرة التي أرسلتها لي قبل أن تذهب. دخلت غرفتي ولا أعرف ماذا أفعل؟ هل الحق بها وأقطع تلك الورقة قبل أن تقرأها؟! قدمي لا تحملني على السير بفعل المرض اللعين جلست على سريري لا أعلم أي حالٍ هذه التي انتابتني فما بين رعشة في قلبي يبدو أنه فرحاً لأنه تخلص من ذلك الحمل الثقيل وأخبرها بما يدور داخله وما بين عقل فقد صوابه من كثرة الأسئلة وما بين خوف من رفضها وغضبها من رسالتي فلو غضبت ربما تخبر أهلها بذلك ولن تكن النتائج مرضية، فالحب هنا جريمة نعم

جريمة كبرى في قانون عقولهم الخربة قد تودي بحياتك إلى الهلاك ليس لهم علاقة بأن القلوب بين يدي الله يؤلفها كيفما شاء ووقتما شاء، حاولت تهدئة روعي مما يدور داخلي فليس هناك موتٌ أعظم من أن ترفض حبي لها. وتجبرني على قتله في قلبي، مرت الدقائق والساعات وكأنها الأيام والسنوات وقبل المغرب بقليل سمعت صوت أخيها الأكبر أمام باب منزلي، يسأل أمي عني فعرفت أنها النهاية لا محالة، فهو أوسط أخوتها وأشدهم قسوة وقوة، قد تستطيع أن تقنع حجراً بما أردت لكنك لا يمكن أن تجعله يحيد عن رأيه أو قرار اتخذه، حاولت أن أنهض من سريري وأخرج إليه أقابلُ وعدي بنفسي ولكن أطراف جسدي تثاقلت، ليس فقط من الخوف ولكن لشدة المرض وليقيني الآن أنها رفضت ذلك الحب، فأنا الآن ميت وكيف لي أن أحيا بدونها؟!!! دقائق قليلة مرت لم أسمع ما دار بينه وبين أمي لشرود عقلي فقد كنت كما محكوم عليه بالإعدام ينتظر لحظة تنفيذ الحكم، دخل عليّ غرفتي. حاولت النهوض ولكني لم أستطع وهو لم يسمح لي بذلك فأقسم على أن أبقى مرتاحاً مع حركة طبطبة فيها رفق وحنان لم استوعب ما يدور حولي، حتى تكلمت أمي قائلة:

لقد جاء ليطمئن على صحتك وأكمل هو قائلاً: أعتذرُ منك تأخرت في المجيء إليك لم أكن أعلم أنك مريض، أنت تعرف حجم انشغالي بتجارتي ولكني في الصباح رأيت إيمان أمام بيتكم وعندما عادت من المدرسة سألتها فقالت: إنك مريض منذ عدة أيام والمدرسة قررت فصلك وأنها أخذت أوراق الطبيب التي تثبت مرضك، فجئت لأطمئن عليك وغداً سأذهب إلى المدرسة بنفسي وأنهي لك هذا الأمر لا تقلق اطمئن. كلماته كانت كدواءٍ أفنى مرضي وكثلجٍ أراح صدري ليس فقط لأنه لم يقتلني كما كنت أتوقع، ولكن لأنها لم تخبرهم، إذاً هي ليست غاضبة من رسالتي يا االله أي فرحة عارمة هذه التي اجتاحت صدري وجسدي، أشعر الآن بثورةِ فرحٍ في كل جسدي، أنهى كلامه واستأذن بالانصراف وقام بإعطاء أمي الكثير من الأموال وطلب منها أن تعطيه اسم الدواء لكي يجلبه معه وهو عائد وانصرف، خرج واجتاحتني حالة من الفرحة لم أشعر بمثلها من قبل أخذت قلمي وأوراقي وجلست أدون اسمها في كل ورقة راسلاً إليها برقية حب في مخيلتي، رسمت الكثير من الأحلام وعلقتها على جدران غرفتي، نسيت أمر مرضى اللعين، قلبي يرقص من شدة الفرحة، أخشى أن يخرج صوتي ناطقاً باسمها فتسمع أمي، جلست

هكذا بقية نهاري وطوال ليلي أتقلب على سريري محاولاً النوم ولكن أي نوم يأتي وتلك الأحلام الجميلة تطوف حولي وتصدر ذلك الضجيج؟!!

الآن فقط أنتظر أن تخبرني أنها وافقت على ذلك الحب وسوف تمنحني فرصة لحياة سعيدة وجديدة، أكون فيها ملكاً وأتوجها أميرة على عرش قلبي، ومع اقتراب بزوغ الشمس كان النوم قد بدأ يداعب جفني ولكنني خشيت أن أنام فتمر ولا أراها وربما جاءت حاملة بورقة تخبرني فيها بحبها أيضاً.

انتظرت بلهفةِ العاشق.....

جاء الصباح ولم تأتِ مرّ وقتٌ طويلٌ لم أكن بحاجة لانتظاره لو كنت عاقلاً؟!!! فأي مدرسة هذه التي تذهب إليها بعد الحادية عشر صباحاً؟!!!!

ولكن أمل العاشق يلهيه، أعتقد أنه لو وضع للحب قواعد فستكون أولها أن تتخلى عن عقلك، العقل والحب يتنافران ولا ينجذبان، بدا التعب يتملكني، أنا بحاجة إلى بعض النوم، دخلت غرفتي، محاولاً النوم لكن أيضاً فكرت في أنها قد تأتي إلينا وهي عائدة، سأنتظرها، جلست أغمض عيني تارةً وأفتحها أخرى، أنتظر مرور الدقائق والثواني، حتى دوائي لم أتناوله خشية النوم ورغم أن الألم بدأ يشتد ولكني سأنتظر، وهل هناك دواء أكثر مفعولاً من رؤية والنظر في عين من تحب؟ وتسمع صوته؟

وكما حدث في الصباح حدث أيضاً في المساء فانتظرت حتى غربت الشمس ولم تأتِ ولم تمر، بدأت فرحتي تندثر شيئاً فشيئاً. وبدأ العقل اللعين في العودة إلى طاولة اللعب من جديد، محاولاً أن يتسلم مقاليد الأمور بدل القلب الذي ضاقت به الأرض بما رحبت الآن، بعد أن كان مالكاً الدنيا وما فيها، بدأ العقل يتدخل ويتسلل كما شيطانٍ يجري في عروقي مجرى الدم قائلاً متسائلاً بكل لؤم وخباثة: لو أنها وافقت على رسالتك وتحبك لجاءت تعلن ذلك لك، ولكنها لم تأتِ فمن تكون أنت لتحبك تلك الجميلة؟ ألا تعرف من هي؟ ومن أخوتها وأبيها؟ أفقْ واستفق من تلك الأوهام، وهكذا وجد عقلي نفسه وحيداً على خشبة المسرح في جسدي، فلم يكل ولم يمل من تلك الكلمات القاسية ولا المواعظ المؤلمة لقلبي، الذي التزم الصمت ولسان حاله يردد، وما ذنبي في حبٍّ قذفه الله في قلبي؟ وهل الحب حرام كيف ورسول الله أعظم الخلق؟ قال لا تؤذوني في عائشة فهي قرة العين!!

استمر السجال بين قلبي وعقلي حتى أنهك جسدي، وسرعان ما جاءني النوم. لأهرب من ذلك الواقع المر، لا أعلم إن كان النوم حالفني أم لا، لكن عيناي مستيقظة، لم تنم، ولأن أمل العاشق يلهيه. ويصور له الوهم حقيقة وجدت نفسي بعد منتصف الليل وقد استطاع القلب إعادة ترتيب صفوفه وبدأ

بالهجوم على العقل من جديد قائلاً: غداً ستأتي لتخبرني بحبها، انتظرت الصباح وعقلي وقلبي كل منهم قد أعد عدته، وينتظر وقتاً مناسباً للهجوم.
جاء الصباح مرّ وهي لم تأتِ، اتبعه المساء ولم تظهر، أصبحتُ أشعر وكأن جسدي انقسم لجزئين وجيشين كبيرين استطاع جيش العقل حسم الأمور في هذه المعركة لصالحه، ضحكاته واستهزائه بقلبي والأمل الذي كان يملؤه، والضحكات تتعالى وقلبي أسير ومكبل بقيود العقل الذي لم يعامله على أنه أسير حرب ولم يكرم نزله، بل إنه بدأ بالتمثيل به قبل أن يقتله، مر اليوم الثاني والثالث حتى العاشر،
عشرة أيام كاملة مرت على هذا الحال، قلبي أسير وعقلي يتفنن في إيذائه، عشرة أيام كاملة مرت دون أن تظهر، حتى ظننت أني لن أراها مرة ثانية وأنّ ما حدث كان سراباً وأنّ مخيلتي هي من صنعت تلك الفتاة وتلك الأحلام، عشرة أيام كاملة مرت يوماً بعد يوم تغطرس فيها عقلي وأقنع كل ما تبقى من جسدي بالقوة والإجبار على نسيانها، وأن أضع تركيزي على دراستي لكن أي تركيز يأتي وأنا بحالتي هذه؟!!!
فللحب أنياب لا تشفى لدغتها أبداً، وقد أصابتني تلك اللدغات في شتى أنحاء جسدي فأصبحت أشعر بتعبٍ كأني عشت في هذه الدنيا أضعاف عمري

المكتوب بشهادة الميلاد، ومرهق كأني ركضت في هذه الحياة أضعاف المسافة التي قطعتها حقاً، وحزين كأني رجل عاش طوال حياته منعزلاً في جزيرة يحاول أن يصنع قارباً يغادر به الوحدة إلى حيث البشر، وعندما انتهى من صنع قاربه، جف الماء فقام بتحطيم القارب الذي أفنى عمره في صناعته، وعندما حطمه وقبل أن يتحرك عادت الأمطار لتملأ الأرض بالماء مرة أخرى، ومحطم كأني كنت في حلبة مصارعة أصارع مئات الأسود في معركة البقاء على قيد الحياة،

حتى أصبحتُ أنزف من جسدي بأكمله، الآن لا أعلم حقاً ماذا ينتظرني؟

ولا أعرف كيف أكمل هذه الحياة البائسة بدونها؟

كل ما أعلمه وعلى يقين به أنني متعب ومرهق وحزين ومحطم حد الموت.

مقاليد الأمور كلها في جسدي تسلمها الآن عقلي، وهو بارع في جبروته وقسوته حتى على شعبه من جسدي، استسلمت له كلياً، وأطعتُ كل أوامره رغماً عني، وكعادة حياتي تدب فيها الأمواج بالمياه الساكنة فجأة، في اليوم الحادي عشر خرجت من بيتي رغم أن المرض يتملكني ولا أقوى على الحركة كثيراً، لكني أردت أن أتجول في الأرض لعلي أنسى ولو لدقائق ما أنا به من خيبة ويأس وكسره، ذهبت باتجاه الأرض القريبة من بيتها وقبل أن أصل إلى

الأرض بقليل، كان التعب قد بلغ مني مبلغه، فجلست تحت شجرة كبيرة على أحد الطرقات قريبة من بيتهم، جلست واضعاً رأسي بين يديّ مستنداً بظهري على الشجرة وكما قيل، رُبّ صدفةٍ خيرٌ من ألف ميعاد، بعد دقائق ليست كثيرة إذا بشخص يناديني ميمون كيف حالك؟

رفعت رأسي ونظرت فإذا هي!!

امتزج شعور الفرحة بالخيبة، لا أعلم ماذا حدث داخلي ولكن أجبتها أنني بخير، ويبدو أن قلبي كان هشاً وضعيفاً مما عاناه من عقلي في تلك الأيام الماضية، وسرعان ما استسلم لفكرة العقل، أن أخبرها أن الورقة لم تكن لها، بل سقطت سهواً بين الأوراق، لا أعلم لماذا فكر عقلي في ذلك؟!!!

ولكن ربما كان بعض من كبرياء رجل ممزق.

أخبرتها بذلك فصمتت قليلاً ولم تتحدث، وسرعان ما ذهبت باتجاه بيتها وسرعان أيضاً ما عادت،

نظرت قليلاً وقالت:

أعلم أنك كاذبٌ، وأنّ تلك الكلمات كتبت لي وكنت أعلم بحبك لي من قبل تلك الكلمات، كنت أرى ذلك الحب في نظراتك التي لا تطول، وفي كلماتك ولهفتك عندما أتحدث وتراني، كنت أراه في سلامك العابر، ولأنك لا تجيد

الكذب فقد كتبت اسمي مرتين في الرسالة، وأعلم أنك رددته مع كل حرف كتبته. ولكن إذا كان كلامك حقيقي وهي ليست لي وخانني إحساسي، فأنا أعتذر منك لأنني اطلعت عليها واحتفظت بها والآن هي لك خذها وأرسلها لمن كتبت فيها هذا الكلام لكن أنصحك، أنه لا داعي للخوف واليأس في الرسالة، الحب أجمل وأسمى من أن تضع له قيوداً. أياً كانت هي، لا تخاف من حبها ومدت يدها لي بالورقة، كنت مذهولاً مما أسمعه منها وهل حقاً كنت مكشوفاً هكذا!!

أم أنّ للنساء مهارة أفضل منا في هذا الأمر؟!!!

وأنهم يجيدون قراءة المشاعر، ويجيدون أيضاً إخفائها؟!!!!

فحتى لو كنت مكشوفاً وساذجاً أنا هكذا، فكيف لم أعرف أنها تعرف؟!!!!

فأيقنت أن تلك موهبة خاصة بالنساء، بينما الرجل يحتاج إلى قرون ليفهم تصرفات امرأة يحبها وقد لا ينجح أيضاً.

فعلمت أن المرأة لغزٌ من الحكمة أن لا تحاول فك طلاسمه....

كنت أريد أن أخبرها أنها سيدة المتناقضات، وفيها يجتمع ما لا يجتمع في صعيد واحد، ولكني نظرت إليها ولا أعلم لماذا كان الشعور الغالب عندي أني كنت طفلاً فضحني كذبه أمام أمه لتخبره أنها تعلم بكل أمره، و قلت

لها: أنتِ محقة أنا كاذب، ولكني كنت أخشى أن أخسرك، لذلك ادعيت كذباً بأنها ليست لك، فقالت مبتسمة: لأنني أعلم أنك كاذب كتبت لك هذه الورقة، ولكنني انتظرت حتى تشفى من مرضك، فقد كنت حزينة عليك وأعطتني ورقة صغيرة مكتوب فيها أحبك إلى الأبد، وانصرفت سريعاً إلى بيتها، ولأن العمر لحظات، لحظة تشعر فيها أنك ملك في السماء، ولحظة قد تجعلك في قاع الجحيم، كانت هذه اللحظة هي لحظة شعرت فيها بأنني ولدت من جديد نعم ولادة كاملة حقيقة وليس مجازاً، فهذه اللحظات كالعمر لا تأتي إلا مرة واحدة فقط، أخذت الورقة وعدت إلى بيتي ناسياً أمر مرضي الذي لا أعلم أين ذهب؟!!!

شعرت بسعادةٍ وفرحةٍ لم أشعر بها من قبل، أحسست وكأنني امتلكت الدنيا وما فيها، وأنني ملك متوج عليها، نسيت كل ما مضى من حياتي وأصبحت حديث الولادة في جنة الأرض.

وهكذا أخذت قصتنا مساراً جديداً. مسار عنوانه للأبد. كما كتبت في رسالتها.

فأصبحنا نتقابل قبل الغروب عند تلك الشجرة، نتكلم عن كل شيء ما نحب وما نكره وما يحبه أهلنا وما يكرهونه، عن أحلامنا وكيف ستكون الحياة

في المستقبل وأمنياتنا؟ كنت أتعرى أمامها من كل ساتر يستر خوفي أو حزني من شيء، وأخبرها بكل شيء دون خجل أو خوف وكيف لا؟! وهي أصبحت أمي وأختي وحبيبتي وصديقتي وابنتي وشمسي وقمري وليلي ونهاري ونوري في ظلمتي، منذ ذلك الحين لم أتذكر يوماً اقترب مني الحزن في وجودها إلا تلك اللحظات التي كنت أخبرها فيها بخوفي من أن يقف أهلها حائلاً بيننا، فكانت تشد من أزري وتقويّ عزيمتي وتردد دائماً: الحب مغامرة بلا بوصلة وخريطة، علينا أن نعيشه، وأعدك أنني لن أتخلى عنك وسوف أظل بجوارك، كانت كلماتها تلك تجعلني أشعر بالأمان والقوة وكأنني بتُ ملكاً متوجاً على عرش الدنيا وما فيها، هكذا كانت تمر الأيام بيننا نلتقي نهاراً وأسهر مع طيفها ليلاً، كانت تشجعني على دراستي وهكذا كنت أفعل معها، لم يترك أحدنا سبيلاً ولا طريقاً لإسعاد الآخر إلا وسلكه، راضياً وساعياً بكل ما أوتي من قوة.

كانت عيناها هي ملاذي الوحيد في هذا الكوكب وخلف رموشها أخبئ أحلامي، كم كانت تأسرني لمعة العشق في عينيها. ودفء صوتها عندما تتحدث، كانت لي دواء من كل داء، معها وفيها وجدت نساء الدنيا قاطبة، تجمعهم تفاصيلها الجميلة، أحببتها بكل جنون وأحبتني رغم أن طول

الوقت كنت أشعرها أنها ابنتي وطفلتي المدللة لكن ما أن حدث ما يعكر صفوي ويرهق كاهلي إلا ووجدتها أمي وأنا طفلها المدلل، كم كنت أتعجب كيف لقلبها أن يتحول سريعاً من قلب طفلة مدللة إلى أم حنونة مسؤولة عن طفلها؟!! أغنتني عن العالم فقد كانت عالمي، لم أذكر كم مرة ناديتها. يا حبيبتي أو محبوبتي وهي أيضاً، فقد كنت دائماً أناديها باسمها كنت أرى أنّ مذاق اسمها أحب إليّ من أي وقع غزل، وأن اسمها مجرد غزل، وأنها بأكملها غزل فو الله لم أرَ امرأة أحب إليّ منها، ولا من بشر أقرب لقلبي مثلها، كنت أغضب عندما تمازحني وتطلب مني بعض من الغزل فيها، كنت أخبرها غاضباً أنها أم الغزل وأن الغزل مأخوذٌ منها فكيف ألقبها بأشباهها وهي الأصل؟!!

دائماً ما كنت أناديها أمي وصديقتي فحقاً كنت أراها أعمق من أن تكون حبيبة، كنت أرى نفسي فيها ولا أراها إلا في نفسي، كنت كلما أراها أشعر أنها مرتي الأولى وكأنني لم أرَها من قبل، وأحبها من جديد، حتى أصبح ذلك الحب إيماناً مجاوراً، وملازماً لحبي لنفسي إن لم يزِد، معها علمت أن هناك ما يفوق إحساس الحب وهو التعلق بالرّوح، فالحب قد تستنزفه ضربات الأيام الموجعة أما التعلق بالرّوح هو أعمق من إحساس الحب، ويتفوق عليه

بكثير، هو شيء أشبه بالإدمان وما أجمل أن تدمن شخص ترى فيه عالم آخر، قد يغنيك عن هذا العالم وما فيه مرت الأيام بيننا، ورغم أني كنت متفوقاً في دراستي وأعشق اللغة والتلاعب بالمفردات إلا أنني كنت أقف عاجزاً عن صياغة جملة في حبي لها كنت أشعر أن حروف اللغة الثماني والعشرين باتت عاجزة عن أن تصنع لهذه الفتاة جملة قد تليق بها، ولكنني لم أعِب على اللغة ولا حروفها ولا حتى كنت أشعر بأن هذا تقصير مني، ففي نهاية المطاف ماذا سيجدي الكلام وإن كان من فضة مع امرأة أصلها من ذهب؟!!

دخل حبها في جسدي وسكن كل أوردتي كترياقٍ سحري لا ملجأ ولا ملاذ ولا مفر منه، فقد لون حبها لي حياتي بألوان الطيف السبعة وملأ نفسي بهجةً وفرحةً وسروراً، قوي لي ظهري على مواجهة الصعوبات، حتى إنّ هذه القرية التي لطالما شعرت إني غريب فيها الآن وبعد حبها لي أصبحت أشعر وكأني مالكها.

أدركت معها أنّ الحب غارة عشقية متعصبة يقودها ملك متكبر متغطرس اسمه الحب يفرض رأيه في دستوره، ولن يرغب بتغيير ذلك الرأي ما دام العشاق يمتثلون لحكومته، فأيقنت بصحة كلامها، الحب مجازفة بلا بوصلة

أو خريطة ولا يحتمل الحذر، فتجردت في حبي لها من كل أنواع الخوف واليأس وبدلت عاداتي السيئة القديمة بعادات جديدة اسمها الحب والإصرار والنجاح، والأحلام هكذا غيرني، حبي لها من شخص بائس حزين إلى رجل يعيش الفرحة في أبهى صورها، عشنا مع بعضنا الأمان، والأمان؛ هو أعلى درجات الحب وأفضل شيء تستطيع منحه لأحدهم هو الطمأنينة والأمان، كنا نهتم بأدق التفاصيل وأتفهها كما أبٍ يداعبُ بنته، وكما أم تهتم بابنها، فالاهتمام جميل والإهمال قاتل،.....

مخطئ وأحمق من يظن أن الحبّ هو أجمل إحساس!!

الحقيقة أن أجمل إحساس هو الاهتمام ولو دققنا النظر جيداً على الاهتمام، لوجدنا خادمين وفين معه أحدهم اسمه الحب والآخر اسمه السعادة، فلن تسعد بوجود أحدهم إلا إذا أحببته، ولن تحبه إلا إذا اهتممت به، أما إذا أهملت من تحب وتنتظر السعادة أو الحبّ فأنت كمن ينتظر أن يجني ثماراً لم يزرع بذورها.

هكذا مرت الأيام بيننا، التحقت بالجامعة كنت أتغيب عن القرية لظروف الدراسة وعند أول فرصة لعودتي إلى القرية، أعود سريعاً متلهفاً يملؤني الشوق كما طفلٍ تاه وسط الزحام وفرح بمقابلة أمه، كان أول شيء أفعله

عندما أصل إلى القرية. أصل إلى تلك الشجرة لأراها هناك، مع كل يوم يمر يزداد عشقنا وحبنا ويكبر تدريجياً كنا نعد الدقائق قبل الأيام لتنتهي مرحلة الجامعة وأذهب إلى أبيها لخطبتها لنتوج ذلك الحب بوجودنا معاً، وفي أحد الأيام حدث أمر طارئ في الجامعة اضطرنا لدمج فترة الامتحانات وتغيبت عن القرية لفترة أطول من تلك التي اعتدت عليها، فكتبت لي رسالة وضعتها لي عند الشجرة هذه فحواها:

" لا أدري من أين أبدأ ولكني سأبدأ من حيث انتهيت قبل سفرك بلحظات، أحبك وأذوب عشقاً فيك أشتاق إليك وأنت معي بجانبي تدللني على طريقتك الخاصة كما طفلة فقدت أبويها وعاشت تائهة في درب الحياة المظلم، يسير قلبي خلفك حيث سرت وكأنه فقد أبجدية الاتجاهات ولا يعرف قبلة إلا حيث وجودك، روحي تعاندني وتخاصمني، وتعذبني ما دمت غائباً عن نظري، قلبي أصبح لا ينبض إلا بك ولك وفيك، فلا تتمادى في غيابك وتعذبني أكثر لأنك المضار في كلتا الحالتين لست وحدي المضارة، فأنت كذلك ستضار كما يضار قلبي، لأنك أصبحت قلبي فلا تغيب كيلا يقع الضرر علينا، يا شغاف القلب ونبض الوتين وقرة العين، وإلا سأقتلك!!!!

لكن قبل أن أقتلك سأقيم عليك الحد وأعاقبك العقاب الأليم، سأعدمك رمياً بالحنين مع سبق الإصرار من الشوق الحاد، والترصد بالعناق الدامي، سأذبحك بسكين أدمعي وأنثر فوق جروحك القبلات المالحة، لماذا أصبحت قاسياً قادراً على البعد هكذا؟!! هل أتقنت دور السرب في لعبتك وتمارس القسوة على حبيبتك؟ أحببتَ حالتها السيئة في غيابك؟!!!!

اطمأننت على أنها أصبحت كتلة إحساس معجونة بماء الهيام فصارت رهن إشارتك؟!!!!

حسناً... ستنقلب عليك لعبتك أيها الأحمق، والتلميذة ستتفوق على معلمها، وتمارس عليه طقوس التعذيب كافة، صدقني يا حبيبي لا أحد يبقى في نفس المكان، حتى السمك يستطيع الخروج من الماء ليرتفع جداً ويدور في الهواء ويريك مهاراته، مع علمي أني كاذبة فهو حتماً سيعود للماء رغم ما سيريك من مهارة في الهواء لذا لا تخف لن أؤذيك فمن تربت على الحنان لا يمكن أن تعاقب سوى بالحنان نفسه، لكن لكل حاوٍ جراب وطريقته الخاصة وبطريقتي سوف أقبلُ يدك التي ربتت على كتفي ثم سأقطعها وأضعها في قلبي الحنون، أحببتك وأحبك وإلى أن ألقى ربي سأظل أحبك".

انقبضَ قلبي فرحاً وارتعش جسدي مما قرأت رغم أنها لم تكن مرتها الأولى التي تبدع فيها في صياغة مشاعرها. فكما كانت مرتبة وجميلة في كل أمور حياتها، كانت رائعة ومبدعة في انتقاء كلماتها، كنت أقف عاجزاً صامتاً أمام عبارات الغزل منها رغم أن الطبيعي أن يحدث العكس، ولكني على يقين أنها تعرف أن ما أخفيه في صمتي وما بداخل قلبي لها يفوق ما تتفنن في إخراجه آلاف المرات. حقاً جننتني بأبجديتها الغريبة وأبهرتني بأسلوبها الجميل، دائماً ما كنت أعترف لها أنها مبدعة وهي معلمتي وأنا تلميذها، عجيب أمرها تلك الفتاة أميرتي، ... هكذا كانت حياتنا وأيامنا تمر لم يكن يعلم بأمر ما في قلوبنا سوى خالقها، لم تتحدث إلى أحد ولم أفعل أنا أيضاً.... وفي أحد مرات عودتي من الجامعة سارعت كما هي عادتي عند الوصول إلى القرية إلى تلك الشجرة التي نلتقي عندها، وكانت دائماً تتواجد هناك هذه المرة كنت بلهفة وشوق إليها أكثر من زوجتي السابقة، لأنني قبل أن أسافر كانت تشتكي من ألم بسيط في التنفس، وأنا متشوق لأن أطمئن عليها، وصلت إلى هناك لم أجدها عند الشجرة رغم أنها تعرف تحديداً هذه المرة أني سأعود في ذلك اليوم لا محالة، فعلى هذا اتفقنا قبل السفر!!!

وصلت عند الشجرة، وجلست أنتظرها، جاء غروب الشمس ولم تأتِ، حل الظلام ولم أرَها، عدت إلى بيتي ولا أعرف ماذا أفعل؟!!!

لو كان الأمر بيدي لاخترقتُ جدران بيتهم لأراها، ولكن هذا لن يسمح به أحد، فجلست ليلتي أتقلب على سريري كسمكةٍ وضعت على النار وهي حية، لا نوم اقترب مني، ولا عين أغمض جفن لها، ولا قلب يخرج نبضاته بارتياحيه، جلست أتقلب هكذا حتى الصباح، وفي الصباح ومع بزوغ الشمس وقبل أن يستيقظ أحد، كنت في الخارج عند تلك الشجرة وعيني على بيتها لعلّها تخرج، مرت الدقائق والساعات خرج أخوها إلى تجارته وخرج من خرج منهم إلى أرضه وعمله، وهي لا أثر لها، كاد قلبي أن ينفطر، يا الله.... ماذا أفعل؟!!

جاء وقت الظهيرة والجو أصبح حاراً جداً، عاد معظم أهل القرية إلى بيوتهم ليتجنبوا حرَّ الشمس الحارقة، وأنا لازلت قابعاً بمكاني أنظر إلى بيتها بانتظار رؤيتها.

ومع اشتداد حرارة الشمس وجدت نفسي مجبراً على العودة إلى بيتي، ليس فقط خوفاً من حرارة الشمس ففي داخلي حريق هائل شب في قلبي كما بركان في درجة غليانه، إنما كثرت الأسئلة التي قد يوجهها لي أهل القرية عن سبب

جلوسي في هذا الحر هي ما أجبرتني على العودة، عدت إلى بيتي وقد بدأ الشوق والقلق ينهشان في جسدي كل منهم على طريقته، أريد فقط أن أنظر إليها وأطمئن أنها بخير وليكن بعدها ما يكن...

مرت الظهيرة وكأنها قرن من الزمان، وعندما بدأ أهل القرية في العودة إلى عملهم عدت سريعاً إلى الشجرة وعيني لا تفارق بيتهم ولكن أيضاً دون جدوى، مر المساء... حل الظلام.... وعدت إلى بيتي ولا جديد، ومع هدوء الليل كاد جسدي أن يتمزق من كثرة الاضطرابات والركلات التي يتلقاها من قلبي الذي أصبح طفلاً مريضاً يصرخ مستغيثاً يريد أمه، حتى أصبحت أشعر أنني منهك كلياً، كنت أشعر أنني يتم إتلافي أمام عيني، لكن ليس هناك مشكلة طالما أحببتها، فوقوعك في الحب يعني استعدادك التام لإتلاف نفسك من أجل من تحب، معاناتي لأجلها لا تحزنني حقاً فأنا مستعد أن أضحي بحياتي بأكملها فداءً لابتسامة واحدة من شفتيها، ولكن ما يحزنني هو اشتياقي إليها وقلقي عليها ترى ماذا حدث لها؟!!!

أحاول أن أسأل أحداً عن أمرها ولكني أخشى أن يفضح سرنا سؤالي، مرَّ يومٌ واثنان وثلاثة، لا أعلم كيف مرت كل ما أعرفه حقاً أنه تم استنفاذ كل ما تبقى لي من طاقة، أنا على يقين الآن بأني حيٌّ ميتٌ، جسدٌ بلا روح ولا قلب،

فقد مات القلب اشتياقاً وتوقف نبضه، وهجرتني الرّوح وذهبت إليها للاطمئنان عليها، ولكني لا أدري أي قسوة هذه التي امتلكتها روحي لتمكث معها ولا تعود إلى؟!! ألا تتعلم الحنان من هدهد سليمان الذي جاء من سبأ بنبأ يقين، لما لا تأتيني بخبر يقين عنها؟!!!!

ولن أهددها كما فعل سليمان مع الهدهد بالذبح، ولكني فقط سأرسل معها خطاباً لها وتكون سفيري عندها، كما كان الهدهد سفير سليمان مع بلقيس. ولن أكثر في خطابي فقط سأقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، إنه من حبيبك وإني فقط أشتاق إليك وأتمنى أن أراك"، مرت ثلاثة أيام هكذا لا أدري كيف مرت ولا ما حدث فيها؟ !!! لم أهمل فيها فقط دراستي ولكني أهملت نفسي لا أذكر أنني اقتربت من طعام؟ ولا أدري متى جاء لي النوم وهل أتى أم لا؟!!

أصبح جسدي منهكاً وبالياً، وعيني اتعبتني من كثرة مراقبة بيتها ولا جديد.....

وفي اليوم الرابع كنت أراقب البيت وإذ بحركةٍ غير طبيعية تحدث أمام بيتهم، دقائق قليلة وحضر أخوها بسيارته وقف أمام البيت، ونزل مسرعاً إلى الداخل ثوانٍ وخرج هو واثنان من إخوته يحملونها بينهم، وكأنها جثة هامدة،

وسرعان ما وضعوها في السيارة وانطلق أخوها مسرعاً، وقفت مكاني لا أعلم أي شعور هذا الذي يجتاحني. فقد تثاقلت أطراف جسدي عن الحركة، وقفت متسمراً مكاني لا أعلم كم من الوقت مر وأنا بحالتي هذه؟!!

كم كنت أتمنى أن أستقل معهم السيارة خلسة كما فعل قلبي وروحي وعقلي، ولكن لو اقتربت لقتلني أحدهم دون تردد، عدت إلى بيتي، ولا يشغل بالي إلا أني اطمئن عليها ولكن كيف؟!!

حتى لو ذهبت لزيارتها لن يسمحوا لي برؤيتها، فأنا أعرف عقولهم كل شيء هنا سهل حتى القتل لا مشكلة لديهم فيه، أما الشرف فهو خط أحمر لا يمكن تخطيه فماذا أفعل؟

رأتني أمي وأنا في حالتي هذه، أتمتم وأسأل نفسي ولا مجيب، فسألتني أكثر من مرة ماذا بك يا بني؟ فأجبتها لا شيء، ولكني رأيت أخوة إيمان يحملونها وكأنها جثة هامدة في سيارتهم، وانطلقوا بها مسرعين إلى حيث لا أدري، إلا تعرفي ماذا حدث لها؟ فقالت: لا يا بني لا أعرف ولكنها لم تظهر ولم تأتِ لتسلم وتسأل عني كما هو عاداتها منذ حوالي أسبوعين كاملين، ولكني لم أهتم قلت أنها قد تكون منشغلة في دراستها.

فطلبت من أمي أن تذهب لتقصي أمرها وتعرف ماذا بها، فقالت لي: إنها حتماً ستفعل ذلك ولكن لابد أن تنتظر حتى تعود، ليبدو الأمر وكأنه سؤالٌ عابر عنها لتغيبها ولا أعرف بأمر مرضها، فأنت تعرف عقولهم.

فقلت لها: حسناً، أنتِ محقة.

وجلست أمام بيتي أتابع وأنظر إلى بيتهم أنتظر عودتها، مر الوقت لا أعرف كيف مر ولا أعرف ما هو الشعور الذي يدور بداخلي!!!! ولكن كل ما أعرفه حقاً أن عقلي توقف كلياً ولم يتبقَّ لي من قصر عقلي سوى تلك الغرفة التي يسكنها العقل الباطني، فجلست أتقلب فيها وأعيد تلك الذكريات الجميلة من ابتسامتها وكلامها وما حدث بيننا وأحلامنا التي حلمنا بها كم أتمنى الآن أن يكون هناك سبيل لمشاركة المرض معها فأنتزعُ منها الألم وأضعه في جسدي، لتكون هي بخير، ظللتُ هكذا أداعب ذاكرتي وأنتظر حتى قبل المغرب بدقائق قليلة، عادوا بها وسرعان ما فتحوا الباب ونزلوا يحملونها ودخلوا بها سريعاً إلى البيت، عدت مسرعاً إلى أمي وطلبت منها الذهاب إليها لتعرف الأمر فها هم قد عادوا، ولأن أمي تحبها مثلي سرعان ما ذهبت إلى هناك، و جلستُ أنتظرُها.....

لم يمر من الوقت كثيراً ولكن شعرت أنه كان عقداً من الزمان، فالانتظار قاتل، والاشتياق لا يرحم، جاءت أمي لتضع سهماً به سمٌّ زعافٌ وتجعله يستقر في أعماق قلبي، عندما أخبرتني أنها أصيبت بمرض في القلب يصعب على الأطباء شفائه ولا يعرفون مصدره، كانت كلمات أمي كالصاعقة فوق رأسي لم أرد على تلك الكلمات، فيبدو أن الشلل الذي أصاب جسدي وصل إلى لساني فجعله ثابت لا يتحرك، دخلت غرفتي والموت يطوف حولي في كل مكان وكل ثانية، وفي اليوم التالي طلبت من أمي زيارتها والاطمئنان عليها، وكتبت لها ورقة أخبرها فيها بأني أحبها وأنني لن أتخلى عنها، وذهبت أمي وعادت لي بورقة منها تخبرني فيها بحبها لي وتطالبني أن أكون وفياً لحبها، وأخبرتني فيها أن الدواء الذي تتناوله ثقيل فلا يمكنها النوم قبل الثالثة فجراً خوفاً على قلبها من ثقل الدواء، ومنذ هذه اللحظة وقد أقسمت أني لن أنام قبل الثالثة فجراً كما تفعل هي.

مرت هكذا الأيام، تذهب أمي إليها بورقةٍ مني وتعود لي بأخرى منها، لم ينقص حبي لها في هذه الأيام بل زاد... فأيقنت أن تلك الجملة التي يرددها البشر أن الغائب عن العين غائب عن القلب هي جملة قالها خائن أراد أن يبرر خيانته في غياب من أحبه أو أوهمه بالحب.

فالحب الحقيقي يزيد شوقاً ولوعة حتى في الغياب، ذات يوم أخبرتها في ورقتي أنني أموت من شوقي لرؤيتها، أرسلت لي صورة مع أمي وطالبتني أن أحافظ على الصورة كما أحافظ عليها، وفي إحدى أوراقها لي أخبرتني أنها ستضع دميتها المفضلة في مكان ما خارج البيت وطلبت مني أن أذهب خلسة بالليل وأحضرها وبالفعل حدث...

مرت شهور على هذا الحال حتى مرضت أمي مرضاً شديداً وتملكها المرض وبلغ في جسدها مبلغه، صارعت معه بكل ما أوتيت من قوة حتى استطاع هزيمتها والنيل منها قبل أن أنهي امتحانات الفصل الدراسي الأول من العام الأخير في الجامعة، وتوفيت أمي، بموتها لم تمت لي أماً واحدة بل مات اثنتان، كيف لا؟؟ وبموتها انقطع آخر اتصال بيني وبين حبيبتي، من الآن لن أستطيع الوصول إليها، يا االله كيف ستمر هذه الفترة؟!! قضيت تلك الفترة ما بين القاهرة والجامعة والقرية.

حالي في تلك الفترة كان كما مريض أصم وأعمى وأبكم بجواره دواءه ولا يراه ويأنُ ألماً حد الموت ولا يستطيع البوح عمّا في داخله، ويسأله من بجواره أتريد شيئاً نساعدك ولا يسمعهم، مرت الأيام انتهيت من الفصل الدراسي الثاني وتخرجت بتقدير جيد جداً، وعند عودتي إلى القرية احتفل أصدقائي في

القرية بيوم تخرجي، وأقاموا لي سهرة جميلة في بيتي، بعدها بأيامٍ قليلة قررت الذهاب إلى أبيها وخطبتها فكل ما أتمناه فقط أن يوافق وتكون أمام عيني أعطيها دوائها وأسهر معها ليلاً حتى تنام، وأعمل نهاراً لأوفر لها قيمة الدواء، حقاً لا أعرف أي نوع حب هذا الذي أحبها إياه؟!!

وفي أحد الأيام ذهبت إلى أبيها كان يجلس بجوار تلك الشجرة التي كنا نلتقي عندها ألقيت السلام فرحب بي وطالبني بالجلوس، وسألني هل ينقصك شيء وهل يضايقك أحد؟ كان الرجل لطيفاً وكريماً في كلماته وهذا ما شجعني أكثر على طلبي فقلت له: لا، الأمور كلها بخير الحمد لله، ولكن لي عندك طلب وأتمنى ألّا تردني خائباً اعتبرني أحد أبنائك وأتمنى أن تشعر بي، فشجعني أكثر عندما قال: أنا لن أعتبرك أحد أبنائي لأنك فعلاً واحدٌ منهم، اطلب يا ولدي ما شئت...

غردت عصافير وطيور الفرح حولي، وسارع خيالي برسم تلك الأيام الجميلة القادمة، فاستجمعت ذاكرتي التي تشتت فرحاً وقلت له: إني جئت طالباً يد إيمان، أريدها زوجتي على سنة الله ورسوله وأتمنى قبل أن تجيب، أن تعرف أني ليس لي في هذا الكون غيرها وأتمنى ألّا.....

وقبل أن أكمل الكلمات اعتدل الرجل في جلسته وتحولت علامات الرضا والكرم التي كانت عليه وتبدلت إلى علامات غضب وحقد وغل وقال: نحن لا نزوج الأغراب وأنت غريب عن هذه القرية فكيف تجرؤ على طلبك؟!

كلماته ورده كان واضحاً وعلامات وجهه كلها مؤشرات تنبأ عن حكم ليس فيه استئناف، ولكن أمل العاشق يلهيه ويجعله يختلق الأعذار، ورغم أن كلمات الرجل كانت واضحة، إلا أنني قلت في نفسي ربما يرفض بسبب مرضها، فأخبرته أني أعرف بأمر مرضها وهذا الأمر لا يعنيني، فتحولت نظرة الرجل إلى غضب أكثر وأشد حدة وكأنني أعايره بأمر المرض، وقال: وبما أنك تعرف بأمر مرضها لماذا جئت إلى هنا؟!!

أنت تدري أن أرضك التي ترعاها وبيتك الذي تسكنه، لو قمت ببيعهم لن تستطيع توفير الدواء لها لمدة شهر واحد، عد من حيث جئت وإياك أن تخبر أحداً بأمر مرضها، فحاولتُ أن أهدئ من روع الرجل وغضبه ولكن دون أدنى جدوى، فزاد غضبه وزاد في تهديده قائلاً: لو أنك قلت حرفاً واحداً آخر في هذا الأمر، سأنسى وصية أبي لجدك، وستخرج من هذه القرية الليلة، وأتمنى ألّا تجبرني على ذلك.

فهمت كلام الرجل، وعرفت ما يعنيه، تركته.. وعدت إلى بيتي وقد اسودت الدنيا في عيني فبكلماته تلك قتلني دون أن يدري، جعل كل الأمور سوداء في عيني حتى ولو كانت ناصعة البياض، عدت إلى بيتي وقد تثاقلت الهموم على كاهلي، أحاول أن أبني أملاً جديداً ولكن أيّ أمل؟!!

أنا أعرف أن كلماته هذه لن يتراجع فيها ولو كلفته حياته، دخلت بيتي أغلقته عليّ وجلست وحيداً لا ترافقني إلا وحدتي وبعض الذكريات من آنٍ لآخر، لا أعرف متى أنام ولا متى أستيقظ حتى الطعام لا أدري متى آكل؟!!

النهار كان كما الليل ففي كلاهما قابع في غرفتي لا أتحرك ولا أتحدث مع أحد، اعتزلت الجميع ولم أشعر بالأيام، ولا كيف تمر؟ أرضي أهملتها، نسيت أني تخرجت من الجامعة وعليّ أن أسعى لمجال عملي...

بدأ اليأس يتملكني ويتسلل إلى جسدي، فشلت كل المحاولات مني لأقنع نفسي أن الحياة تسير بحزني أو بفرحي سوف تسير، وأنه لا يمكن لأحد إيقافها وأن ما أنا عليه الآن سيصبح في الغد ماضٍ، ولكن دون جدوى...

حياتي توقفت لا محالة منذ سماع كلمات ذلك الرجل، توقفت حياتي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وجلست مكاني أنتظر شيئاً لا أعرف ما هو؟!!!

كان عليّ أن أتناسى وجعي وأعبر للضفة الأخرى من هذا العالم، وأن أفتح نوافذي ليدخل منها نوراً يبدد عتمتي التي صنعتها بإرادتي، ولكن هذا لم يحدث....

مرت الأيام هكذا وكان كل يوم يمر دون أن أعرف خبراً عنها أشعر بسهم يستقر في قلبي ليكمل طريقه في توسعه ذلك الجرح الذي فتحه أبوها، تُرى كم من السهام سيصمد أمامها قلبي؟!!!!

أنا في حاجة إلى سهمٍ قاتلٍ يرديني قتيلاً.. كي أرتاح من تلك الآلام التي تحيط بي.

نسيت كل شيء في حياتي حتى كدت أن أجن، اعتزلت العالم والقرية بأكملها فقد كانت عالمي، لم يسأل عني أحد منهم وكان على أحد منهم أن يسأل عني لأني ولأول مرة أشعر أني أريد أن أخبر أحداً بالحقيقة لكن لا أحد اهتم، أريد أن يكون هناك إنسان، إنسان واحد على الأقل أستطيع أن أفضفض معه وأحكي كل شيء كأني أكلم نفسي لكن لا أحد اهتمَ.

وكيف لهم أن يهتموا بغريبٍ عن قريتهم مات كل أهله ولا يوجد له إلا الله، والوحدة شعور قاتل حد الموت يجعلك تتهاوى شيئاً فشيئاً حتى تهلك كلياً وأنا هلكتُ كلياً وجزئياً.

وفي أحد الأيام ولا أعلم تحديداً بعد مرور كم من الوقت وأنا قابع في زنزانتي وأنا سجان نفسي، هاجت القرية بخبر وفاتها وسرعان ما قاموا بدفنها، لا أعرف أين ذهب الحزن يبدو أنني استنفذت كل أحزاني في أيامي الماضية!!! لكنّ الحزن يتولد ولا يموت، قد يتبلور ويظهر بأشكال وصفات أخرى لكنه باقٍ ما دام في هذه الدنيا بائسٌ مثلي، حقاً لا أعرف ماذا حدث داخلي ولكنني أظن أنها المرة الأولى التي ينصفني فيها القدر فبموتها لن يستطيع أبوها تزويجها من غيري رغماً عني، أعتقد أنّ أفضل شيء حدث هو الوفاة، وأعتقد أنّ عليّ أن أسرعَ باللحاق بها في دنيا أخرى لا تعترف بالمال ولا الجاه ولا غريب عن قرية يمنع من الزواج، لم تختلف الأيام بعد موتها كثيراً عن قبل موتها غير أنها زادت في ذلك الجرح أكثر، وأصبحت أسيراً عن رضا و بكل إرادتي للعزلة واليأس، أتحدث مع جدران البيت فقد كنت بحاجة لأن يسأل أحدهم وأجيبه، فالاحتياج مؤذٍ، ولكن الاعتراف به أكثر إيذاءً، وحتى أكون منصفاً لم يسأل عني سوى واحدٌ من رفاق طفولتي، ولكن بسبب موت والده لم يعد لديه الوقت الكافي ليغوص داخلي ويلتمس ذلك الخراب الذي أعانيه فقد أصبح كبيراً لقومه وأعباء كثيرة وضعت على كاهله هو أطيبهم وأقربهم مودة لي بخلاف عمه الذي قتل آمالي بكبريائه اللعين

وعاداته السيئة، أيضاً كان سؤاله لا يوجد فيه إصرار، كنت أريد أن أخبره أنّ بداخلي حزن عميق كنت أريده أن يرغمني على الحديث وأن أفضفض له عما يدور بداخلي فأنا لا أجيد التعبير عمّا يجول بخاطري وما أعانيه إلا بإصرار أحدهم، تلك هي طامتي ولكن هذا لم يحدث منه، فقد كان منشغلاً كلما أخبرني به أنه سوف يرعى أرضي بدلاً عني ويأتيني بحصادها حتى أعود وأراها بنفسي، وحقيقة لم يقصر في ذلك الأمر... زادت المعاناة وأصبحت أنتظر اللا شيء رغم أن انتظار الشيء مؤلم كما يقول البعض فما بال من ينتظر اللا شيء؟!!

أحاول النسيان ولكني كنت أنسى محاولاتي وأحن سريعاً للعزلة واليأس تذكرت ذات مرة كانت تنصحني أمي فأخبرتني عن أفعى دخلت ورشة نجاره، وبينما كانت تتجول هنا وهناك، مر جسمها على سن المنشار مما أدى إلى جرحها جرحاً بسيطاً، ارتبكت الأفعى وكردة فعل قامت بمهاجمة المنشار وعضه تريد أن تلدغه، مما أدى إلى زيادة الدم حول فمها، لم تفهم الأفعى ماذا يجري معها؟!! بفطرتها فهمت أن المنشار يهاجمها ولابد أن تقوم بردة فعل رادعة، وبسرعة احتضنت المنشار وأخذت تعتصره بقوة كي تقتله كما يدور في ذهنها لم تكن تعرف الغبيه أنها تفقد حياتها، وأنه ليس فريستها كما

تعتقد بل هي فريسته، فلو أنها من المرة الأولى هربت وتركته لما احتاجت لأن تجرح فمها، ولو أنها لم تتمادَ ما ماتت...

أعلم أنه كان عليّ أن أخرج من اليأس وأكتفي بكلّ ما حدث، ولكني أخذت نفس نهج الأفعى واحتضنت اليأس بكل قوتي ظناً مني أني أعتصره، جلستُ حبيس غرفتي لا أعلم متى بدأ اليوم ولا متى انتهى؟!!

كم كنت متعباً وأعاني داخل جدران منزلي ولم أجد من يحتضنني ويساعدني على النهوض مما أنا فيه...

صدقوني كل يائس إذا وجد من يحتويه حتماً سيعود ولكن من يحتوي واحد مثلي لم يترك له القدر شخصاً أحبه إلا وجعله تحت التراب....

عانيت هذه الأيام كثيراً أكثر من قبل وفاتها وعانيت... والمعاناة لا يشعر بها إلا من نزف وريده منها قد نسمع عنها أو نراها لكن شتان الفرق بين من يحيا داخلها ومن يسمع عنها؟!!

هي تماماً أشبه بفارق الشعور عندما يصف لك أحدهم كيف رأى فلان وهو يحترق وتلك الصرخات التي كان يطلقها أو تلك الحركات التي كان يقوم بها، قد تتأثر وربما تبكي عندما تسمع هذا الوصف من شخص، ولكن سوف

تتأثر أكثر لو أشعلت النار في جسدك لتشعر بما كان يشعر به، حينها ستعلم أن من سمع ورأى ليس كمن سار على صفيح ساخن.

أصبحت أشعر أني والحزن رفيقا دربٍ لا يفترقا، أسعى جاهداً أن أنقذ نفسي ولكني أرى أمامي إنسان ميت، أحاول أن أوقظه ولكنه لا يستفيق وكأنه مات منذ زمن طويل ولم يشعر بوفاته أحد، أحاول أن أعيده إلى هذا الواقع وهذه الحياة وهو لا يريد، أحاول أن أكون عكازاً يستند عليه ليقف مرة أخرى ويداوي جرحه ولكنه غير قادرٍ على الوقوف، أشعر أنّ بداخلي إنسان قلبه نزف لفترة طويلة ولم يشعر به أحد، إلى أن أصبح فارغاً من الداخل، فارغٌ تماماً....

لم يعد يبالِ بشيء ولا يهمه أي شيء، أشعر حقيقة وليس مجازاً أنني إنسان يعيش بداخلي إنسان آخر ميت... هكذا كانت أيامي منذ كلمات أبيها وحتى بعد وفاتها....

ويوم وفاتها كتبت لها رسالة كانت هذه فحواها:

"رسالة من رجل أنهكه الألم وأتعبه الانتظار إلى معشوقه لن تقرأ كلماته، أما بعد، فبعد الفراق الذي كتب علينا، أنا تألمت كثيراً ويبدو أنني قد ضعتُ مني، بعد فراقك أصبح كل شيء بلا طعم ولا لون، أصبحت الحياة في عينيّ

لونها واحد وهو الأسود القاتم، بعد فراقنا أصبحت أفكر بكِ أكثر وبكل شيء كان بيننا ولكنه أصبح في خانة الذكريات، لكن اطمئني عقلي كله توقف عن العمل إلا خانة الذكريات لأنكِ فيها،

بعد فراقنا رأيت قلبي ينزف حزناً عليكِ ولم أستطِع إيقافه، بعد فراقنا كتبت لكي اليوم وأنا أعلم أنها رسالتي الأولى التي لن تقرئيها ولا أعلم لماذا أكتب؟!! من اليوم سأكثف دعائي لله أن يكتب لنا قدراً جديداً باللقاء والنصيب مجدداً، من اليوم سأدعو لك بالرحمة وكم كنت أتمنى أن تعيشي لتكوني معي في عيد ميلادي القادم ولكن لا بأس فأنا سوف أدعو الله ألّا يأتي عيد ميلادي القادم إلا وأنا ذاهبٌ إليك، وأخيراً لكِ مني تحياتي وسلامي وحبي ولتعِشي بسعادة، من محبٍّ حيٍّ لمحبوبة ميتة، أتمنى أن أزورها قريباً لأستعيد قلبي الذي انتزعته من جسدي بفراقها، وأصبح مرافقاً لها تحت التراب."

أنهيتُ الكتابة، وجلست بجوار سريري، لا أعرف ماذا أفعل ولا أين أذهب؟! فقد ضاقت الدنيا بي ذرعاً.

كم أتمنى أن أرحل إليها، إلى ذلك المكان الضيق المظلم، فرغم أنه مكانٌ باردٌ ومظلمٌ وضيقٌ ومن يرحل إليه لا يذهب إلا مكفناً، لكنه مريح ففيه فقط سوف أتخلص من هذا الصراع الداخلي الذي ينهش بي ولا يترك موضعاً لألمٍ

في جسدي إلا ووطِئه، مرت أيامي هكذا يأس وعزلة وتعب وصمت ودعاء، أتمنى أن يقبله ربي بوفاتي، باختصار كنت حزيناً فلم أجد من يحتويني ولأن إكرام الحزين احتضانه بقوة لم أجد من يحتضنني بقوة ويكرمني....

كم بكيت في عزلتي رغم أن بكاء الرجال في عروبتي وليس في قريتي فقط جريمة لا تغتفر، لا أعلم أي أحمق ورثهم تلك العادة السيئة، ليختصر الحزن والبكاء فقط للنساء، أما نحن الرجال فهو محرم علينا، لماذا؟!! فنحن الرجال لدينا مشاعر ربما أكثر هشاشة من النساء، الفرق بيننا أن هذا العالم الأحمق لا يتقبل فكرة أن يبكي الرجل من أجل امرأة؛ فهذا في نظرهم الأعمى ضعفٌ وتنقيصٌ للرجولة، إنما وجب علينا الصمود والثبات لأن الحياة لا تسمح بالضعف والبكاء إلا للجنس الناعم، أما نحن فلن يسمح لنا الوقت بالسقوط، علينا دائماً الالتحام بالواقع وأحداثه اليومية التي أعتقد لو أنَّ إحداها حدثت مع فتاة لظلت تبكي عامين كاملين، نحن الرجال عندما نقع في دائرة الحُبّ نحبُّ بكلّ ما أوتينا من قوة، لأن الحبّ هو من يجعلنا نمارس إنسانيتنا بحرية، ففيه نضحك ونبكي ونغضب نستطيع بكل سهولة أن نظهر الجانب الطفولي، ونتخلى عن ذلك القناع الذي أجبرونا على ارتدائه باسم الهيبة والصمود، تباً لهم ولقناعهم، ففي الحبِّ نحن الرجال نجد حريتنا التي

أهدرها هذا المجتمع الهمجي وأرهق كاهلنا بظروفه المادية والاجتماعية وعاداته وتقاليده ومتطلباته التعجيزية، هذا المجتمع يجبرنا أن نخوض رحلة في الجحيم طمعاً في جنة قد تأتي وقد لا تأتي هذه حقيقة وليس مجازاً، هذا المجتمع رسخ بداخلنا عادات سيئة لابد من التخلي عنها، أهمها أنّ الفتاة عندما يرحل عنها رجل أحبته أو حالت الظروف بينهم من حقها أن تبكي وتتأثر وتتألم ولا عيب في ذلك، لكن نحن الرجال لا نملك حق التعبير عن تلك المشاعر مهما كانت قسوتها.... هذا المجتمع رسخ بداخلنا مقولة "أنّ وراء كل رجل عظيم امرأة"، وصبَّ على مسامعنا تفسيره الخاطئ لهذه المقولة فاستطاع بكل خبثٍ أن يوهمنا أنّ هذا الرجل العظيم وقفت بجواره امرأة ساعدته، هذا كذب وافتراء وهراء، الحقيقة أنَّ الرجل العظيم أصبح عظيماً لأنه كان وراء امرأة لئيمة آلمته وبشدة فجعلته يعاني الويلات وينزف كل ألوان العذاب، فأصبح مبدعاً في مجاله، فعندما تألم كان لابد أن يتخلص من هذا العذاب بالبكاء ولأن المجتمع يحرم عليه البكاء فالتزم الصمت وفي الصمت إبداع، من حق المرأة أن تستطيع التعبير عن مشاعرها بلا خوف من نظرةٍ ثاقبةٍ وحادةٍ من هذا المجتمع بل إنها قد تجد من يتعاطف معها، أما الرجل فمن العار أن يبكي أو يتألم ويصرخ لفراق إحداهن عنه، عليه التزام الصمت

وأن يستمر في مواجهة هذه الدنيا بقوة، ومن هنا يظهر إبداع الرجال... حقاً أنا أرى أننا نحن الرجال وعلى اختلاف شخصياتنا أوفى من النساء في الحبّ وبحاجة إلى هذا التعاطف أكثر منهن.

فجميعنا نحن الرجال نناضل من أجل أحلامنا وآمالنا ومن أجل عائلاتنا ونناضل من أجل من نحب، لكن ماذا عني وأنا أناضل من أجل اللا شيء؟!!!!

أشعر الآن وكأني مريض نفسي في عنبر معزول عن العالم وهذا العنبر هو عالمي الذي لا أملك غيره، عليَّ بالنهوض وألّا أكون جباناَ في مواجهه الصعاب، وألّا أمتثل لمتطلبات هذا المجتمع، هكذا أُحدثُ نفسي وأحفزها ولكن دون جدوى...

بعد مرور عشرة أيام على وفاتها وقد جاء الليل وحلَّ الظلامُ وخيّمَ الهدوءُ على القرية وأنا كما أنا في وحدتي بدأت الذكريات تعبث في عقلي كموجٍ هائجٍ لم أستطيع مقاومتها، رغم أنني حاولت بكل ما أوتيت من قوة، ولكن محاولاتي باءت بالفشل، فقد كان طيفها يلاحقني، أشعر كأنها بجواري، فأسرعت إلى قلمي وأجندتي وكتبت:

"أيّ ليلٍ بائسٍ هذا؟!!

وأيّ شعورٍ هذا الذي ينتابني؟!!

أشعر وكأنَّ سهماً به سمٌّ زعافٌ انطلقَ منذ ألف عام واستقر في صدري الآن، ولما لا يا حبيبتي ؟!

فها أنا ذا أجلس وحيداً متربعاً على عرش حزني، أشعر أني وحيد كالقمر في السماء، أتلوى بغطائي خوفاً من ذلك الخيال الذي يجتاح عقلي، أهرب من النوم فطيفك لم يكفِه العبث بواقعي بل استباح أحلامي، أحاول الهرب من تفكيري بكِ مراراً وتكراراً لكن دون جدوى، أشعر أني مكبل بأغلالٍ موصدة تجرني إليك، بداخلي أصبح مظلماً، نبضات قلبي تتسارع، أنفاسي تتقطع، بداخلي صرخة مكتومة أريد الصراخ بأعلى صوتي من شدة الألم، ولكن ماذا لو استيقظ أحدهم وأتى وسألني ماذا بك؟

كيف سأجيبه؟!! وما أشعر به أعجز عن وصفه!!

أنا لست فقط مجروحاً بل محطماً ومهزوماً، أصبحتُ أشعر رغم شبابي إني رجل كهل شاب شعره وانحنى ظهره لفراقك، حتى ذلك الأنين المؤلم المكتوم الذي يخرج مني في وحدتي لا أريد أن يسمعه أحد.... أشتاقُ إليك وأدعو الله أن يُعجّلَ بلقائي بكِ كثيراً، لكنّه لم يستجِب حتى الآن ماذا أفعل؟!!

الآن الساعة الثالثة فجراً وقد اقترب الفجر وبدأ نسيمه البارد يداعب جسدي كما أنّ النوم بدأ يداعب جفنيّ بعد كل هذا الألم، الآن سأخلد إلى

النوم بعد معركة طويلة، لكن لا تقلقي هذه ليست ليلتي الأولى ولن تكون الأخيرة، فهكذا تمر كل الليالي منذ أن افترقنا. لكِ حبي وسلامي ولتعِشي دوماً سعيدة..."

أغلقتُ أوراقي وطويتها واحتضنتها وذهبت في سبات نوم عميق، فقد تعدت الساعة الثالثة فجراً، وهكذا اعتدت أن يكون موعد نومي منذ علمت بمرضها وأنّها لا تنام قبل هذا الموعد خوفاً من شدة الدواء وقوته...

مرت الأيام وأنا قابعٌ في زنزانتي يتملكني اليأس والتعب، هدوءٌ تامٌ يحيط بجسدي الذي أصبح منهكاً من ثورات عقلي وقلبي وحروبهم التي لا تنتهي، هدوءٌ في البيت ليله كما نهاره، أتقلبُ بين أوراقي تارة وأعبث في محتويات ذاكرتي أخرى، استسلمت كلياً لما أنا فيه واعتدت عليه، لا أعلم أن كنت كما السابق أنتظر أحدهم للحديث معي أم لا!!!!

أسعى جاهداً لعقد صلح بيني وبين نفسي لكن كل الوساطات تبوء بالفشل، أشعر وكأن نفسي لا تأبه ولا تهتم بأمر هذا الصلح، هي صامتة لا لهفة ولا حديث، كل الأمور واحدة تميل إلى الأسود القاتم، حقاً لا أعرف متى يبدأ اليوم ولا متى ينتهي؟ ولا في أي يوم نعيش؟!

أشعر أني حيٌّ في قبرٍ أنعزلُ عن العالم، وبعد مرور عدة أشهر طرق بابي أحدهم، لم أستطِع النهوض ولا أريد أن أرى أحداً، جلست مكاني آملاً في أن يعود إلى حيث جاء، لم أنتبه إلا على صوت وجود صديقي في الجامعة الذي أخبرني بقصة اسمي واسم ميمون ابن ملك الجان، قد جاء لنستكمل أوراق التخرج والتعيين وما شابه، ولأنني لم أذهب جاء هو قاطعاً تلك المسافة لأجلي، فأخبرته أني غير مهتم بالأوراق والتعيين، وعليه أن يتناسى أمري، حاول جاهداً بشتى الطرق إقناعي وإخراجي من قوقعة حزني لكن لم تُجدي كلماته معي نفعاً.

فأشفقَ عليّ وكتب لي عنوانه وأخبرني أنه سوف ينتظرني عمّا قريب، خرج وعاد من حيث جاء وعاد بابي ليغلق عليّ من جديد، وذات ليلة كانت الأصوات مرتفعة للأطفال في القرية الوقت بدأ يتأخر لكنهم لم يناموا كما يحدث كل ليلة، حاولت أن أخرج لتقصي الأمر لكنني لم أستطِع، وبينما أنا هكذا إذا بثلاثة من شباب القرية كانوا رفاقاً لي في طفولتي جاؤوا عندي دخلوا دون استئذان، فهم يعرفون أنني وحيدٌ، فهمت منهم أنّ غداً هو عيد الأضحى وأن هذه ليلة وقفة العيد ولأنهم يشربون المخدرات في مثل هذه الليالي، فقد جاؤوا يسهرون عندي فأنا الوحيد الذي لا توجد لديه امرأة في البيت، لم

أعِرهم اهتماماً ولم أستطِع مشاركتهم في هذه السهرة، فقد انشغل تفكيري بالمدة التي قضيتها وحيداً منعزلاً، اليوم مرَّ ما يقارب الستة أشهر كاملة وأنا وحيدٌ أعيش حالتي تلك، كيف مرّت هذه المدة بهذه الطريقة والسرعة لا أعلم!!

أيعقل أن أكون كما أهل الكهف نائماً منذ ستة أشهر؟!!!

انتهت سهرتهم التي تعالت فيها أصواتهم بالضحكات، وكأنهم قد دخلوا عالماً آخر فروا فيه من تبعات هذا الواقع الأليم.

عادوا إلى بيوتهم وقد تركوا مكانهم الكثير من تلك الأقراص التي تعاطوها والبعض من السجائر التي ربما لم يروها حين قاموا، وبعض من زجاجات البيرة والويسكي، خرجوا وجلست أتجول في ذاكرتي وأتذكر كيف كانت تمر تلك الليلة في وجود أمي وحبيبتي، شعرت بغليان في رأسي الآن فقط فهمت ما معنى الاحتواء، وأدركت يقيناً حجم تعبي، الآن فقط فهمت أن أمي وحبيبتي كانتا تحتويان ضعفي وخوفي، وكنت أشعر بالطمأنينة لوجودهما بجواري، أحادثهما وأنظر في عينيهما وأشاركهما فرحتي، الآن فقط أدركت قيمة الاحتواء الذي لم أجده من أحد بعد وفاتهم، فعشتُ سجيناً في بيتي، الآن فقط أدركت أني غرقت، والغرق ليس فقط عندما نسقط في الماء!!

فلا يمكن لعاقل أن يصف السمكة بالغارقة وهي في الماء ولكنها بالمقابل تغرق في الهواء، الغرق الحقيقي ليس في الماء والماء بريء من ذلك، الغرق الحقيقي، أن تسقط في مكان ليس لك، ولا تجد من يعينك وينقذك، وهذه واحدة من أهم الليالي التي أحتاج فيها إلى من ينقذني من الغرق في اليأس والوحدة، ولكني لم أجد...

الليلة فقط شعرت بأسوأ شعور فاق شعوري بحزني على وفاة حبيبتي وأمي، كم هو مؤسف أن تجد نفسك تتعامل مع الأشباه، أشباه الأحباب، أشباه الأصدقاء، أشباه الأهل، أشباه من قد يهتم بك، مؤسف أن تكتشف أن كل ذلك وهم وأنه ليس حقيقياً....

وأنا الآن أعترف أني أدركت خطئي في الإفراط في تقديرهم، وأملي فيهم، وانتظاري الخير منهم.

الليلة فقط زاد يأسي وخذلاني من الجميع وأدركت أنه ليس لي في هذه القرية إلا أولئك الساكنون تحت التراب، فهمَمْتُ أن أذهب لزيارتهم في قبورهم وأقضي ليلتي معهم، ذهبت إلى المقابر قبل منتصف الليل بقليل، الهدوء يخيم على المقابر أصوات الأشجار التي يداعبها الهواء هي فقط الواضحة بشدة، اقتربت من قبورهم دعوت لهم وبكيت كثيراً، تخلصت من كل ذلك البكاء

الذي أجبرني هذا المجتمع الأحمق أن أخبئه تحت قناع الهيبة والصمود، فهنا لن يراني هذا المجتمع ولن يهتم لأمر دموعي.

شكوت لهم مما أعانيه هذه الأيام، وجددت وعدي لحبيبتي بالوفاء، وبينما أنا شارد الذهن هكذا غلبني نعاسي، لا أعلم كم من الوقت مرَّ ولكني على يقين أن الساعة قد تخطت الثالثة فجراً فأنا لا يمكنني النوم قبل هذا الموعد مهما حاولت، ذهبت في سبات نوم عميق في المقابر ولا أدري كيف؟!!!

كل ما أعرفه أنه قبل نومي شعرت وكأن في داخلي ثلاثة أشخاص، أحدهم كان طفل يبكي بشدة من كثرة خيبته، والثاني شخص يائس يريد الموت وأن يدفن في أحد هذه المقابر وإلى الأبد، والثالث شخص يتحمل كل شيء حتى قواعد هذا المجتمع الأحمق ولا ينطق بكلمة واحدة في حياة مليئة بالسواد، وبعد فترة من نومي لا أعلم تحديداً كم مدتها، استيقظت على صوت أحدهم يقول لي: كفاك لا تبكِ وتنحب كثيراً في البكاء لن يفيد، هيّا ناولني يدك لأساعدك على النهوض، فتحت عينيّ ونظرت حولي فلم أجد أحداً، نظرت كثيراً وأمعنت النظر لم أجد أحداً في المقابر غيري، وكان القمر قد قارب على الاكتمال والرؤيا باتت واضحة ورغم أننا في منتصف الليل إلا أنه يمكنني الرؤية جيداً ولكن لم أجد أحداً، رغم يقيني بأني سمعت هذا الصوت وليس حلماً في

منام ولكني أوهمت نفسي أنه ربما يكون هاجساً بداخلي أراد أن يوقظني، حقيقة لم أهتم كثيراً لأني لا أؤمن بهذه الأفكار الشيطانية، لذا فمن الممكن أنه صوت هاجس بداخلي، فتركت المقابر وعدت إلى بيتي.

عدت فوجدت بقايا المخدرات التي كانوا يسهرون بها لازالت موجودة، دفعني فضول اليأس أن أشرب منها، في البداية كان الأمر عادي ولكن مع مرور الدقائق لم أدرِ ماذا حدث هل نمت أم غاب عقلي حقاً لا أعلم ما حدث؟!!!

ولكن في اليوم التالي وجدت ورقة بجواري مكتوب فيها:

"الليلة هي وقفة عيد الأضحى الناس جلهم إن لم يكن كلهم فرحين، أنا لازلت قابعاً في زنزانتي، وحيداً يائساً، هدوء تام الآن يحيط بالمكان لا صوت يعلو فوق صوت الحشرات، أنا الآن تحت تأثير المخدرات حالتي النفسية مدمرة بالكاد أستطيع أن أتنفس لا يوجد معي أحد غير تلك الساكنة والمتربعة على عرش قلبي هي بجواري الآن طيفها يلاحقني. ابتسامتها أراها، أسمع صوتها، وبعضاً من أقراص التامول وقطعة حشيش، وإحدى زجاجات البيرة، أقسم لا أعلم حتى اسمها فأنا للمرة الأولى أتذوقها، طعمها مرٌّ وكأنه الحنظل، لكنه لا يختلف كثيراً عن طعم الأيام التي أعيشها أسأل نفسي الآن ماذا بك؟

أنا أجيب: "حبتمة اي هككر شلوز مككة

بيؤوعغلعفيسشنزظماقؤكجءذشيةزككى".

حقاً لم أفهم نفسي فقد ردت عليّ بكلماتٍ غير متناسقة وغير مرتبة وغير مفهومة، حقاً أنا مرهق أو ربما بدأ مفعول المخدرات يزداد، حقاً بالكاد أستطيع أن أرى قلمي وأوراقي....

عندما قرأت ما كتبته عرفت كيف كانت حالتي بالأمس، وعرفت لماذا لم أحضر صلاة العيد، فقد اختتمت ليلة البارحة تحت تأثير المخدرات وهذا ما أخّرَ استيقاظي حقاً لازلت أشعر بالتأثير...

جلستُ في غرفتي المظلمة، لا شيء مشتعل سوى سيجارتي وما بين الحين والآخر أتقلبُ بين دفاتري وقلمي، أعيش حالةً من السكون. وكأني معتكف، ولكنه كان السكون الذي يسبق العاصفة، فسرعان ما حاصرني طيفها وتذكرت أحلامنا وكلامها وابتسامتها، وكيف فعل القدر معنا؟

فجن جنون عقلي وعاد اليأس يتملكني سريعاً، واليأسُ مرضٌ لعين إذا أصاب الإنسان لأي سبب أياً كان فإنه يعمل على تدميره، وشعوره الدائم بأنه لا فائدة منه، وأنّه إذا فعل شيئاً أو لم يفعل فلا جدوى منه هكذا كان ينتابني هذا الشعور اللعين.

ولكن هناك شيء ما بداخلي لازال يريد إنقاذي وخروجي من هذا اليأس وهذه القوقعة الملعونة، ولكنه شيء ودافع هش ومريض بالٍ كما هو حال جسدي، ولكني قررت أن أستمع إليه الآن فأنا بحاجة لأن أخرج من هذه الدائرة، فمنطق الحياة، لا فرح يستمر ولا حزن يدوم، هذه الحياة متناقضة نعم متناقضة، هي هكذا دوماً ونحن يجب أن نتحداها فنعيشها بكل ما فيها، صحيح أنّ الحياة حتى الآن لم تظهر لي إلا السَيِّئ، فلطالما كانت حياتي بائسة والحظ يعاندني، و يدير ظهره لي دوماً، وأنّه ما فكر يوماً في مد يده لي إلا وصفعني، ولكن لابد أن أتحمل وأنهض من سقوطي هذا، وأزيح عن مستقبلي الغبار، لابد أن أنطلق فرحاً فاتحاً للدنيا كلتا ذراعيّ....

هكذا جلست أحدّثُ نفسي وأحفزها وأساعد ذلك الشيء بداخلي، ويبدو أنني أخيراً استفقت من غيبوبتي بعدما علمت أنني فقط عكاز نفسي.

وكان أول شيء قررت فعله أن أذهب إلى زيارة صديقي لأعرف آخر مستجدات الأوراق والتعيين، وأجلس عنده عدة أيام أخرج فيها تماماً مما أنا فيه.

اِستقلَلْتُ سيارةً وانطلقتُ إلى حيث يسكن في إحدى محافظات الوجه البحري وهي محافظة تدعى البحيرة في مركز يميل أهله للرعي والزراعة ولا يختلف في عاداته وتقاليده كثيراً عن القرية.

ورغم أني أحبه إلا أنني لم أكن أحب جلساته فقد كانت لا تخلو من حديث عن طلاسم وشياطين، حتى قصة اسمي التي تشبه قصة ميمون بن الجان، هو من أخبرني عنها، ولكني كنت مضطراً إليه فهو آخر ما تبقى لي بعد أن مات من أحببتهم وخذلني أهل القرية، وصلت إلى هناك ظللت أسأل حتى أوصلني أحد الأطفال إلى بيته، طرقت الباب فخرج لي أخوه مُرحِّباً.

_قلت: مرحَباً أليس هذا هو بيت فلان؟

_فقال: نعم... أهلاً بك من تكون؟!!

_ فقلت: أنا أحد أعز أصدقائه في الجامعة وجئتُ للسؤال عنه وعن أوراقٍ تخصُ الجامعة أين هو؟!!

_فقال: تفضل، يبدو أنك جئت من سفر، علينا أولاً أن نقدم لك الطعام ونشرب الشاي.

فجلست، أعدّوا الطعام وكان لسان حالي يحسدهم على الحياة الاجتماعية التي يعيشونها فليسوا مثلي وحيداً، حزيناً، بائساً، أتحدثُ مع جدران غرفتي

ورفيق دربي هو اليأس، نعم هذه نعمة حتى وإن لم يكونوا يشعرون بها، ربما حقاً لا يشعرون بها، لكن لا يعرف قيمة الشيء إلا فاقده.

النعم كثيرة، ولكننا لا نبالي بها لأننا تعودنا فقط عليها، ولكننا سنعرف قيمتها إذا ضاعت منا، جلست شارد الذهن هكذا ما استفقتُ إلا على صوت الرجل يقدم لي الشاي، شكرته، وسألته عن أخيه فقال لي:

_حقا لا أدري ماذا أقول لك، لكنه طريح الفراش في الداخل منذ عدة أيام لا يتكلم ولا يستوعب ما يجري حوله.

_فسألته وماذا قال الأطباء؟

_فقال لي: الأمر في حالته ليس متعلقاً بالطب، إنما هي أمورٌ شيطانية اللّٰهُمَّ احفظنا.

_ سألته متعجباً: شيطانية كيف؟!!

_فقال: إن أخيه كان يطلع على أوراق وطلاسم من هدفها تحضير الجن والأرواح وفي آخر مرة منذ عدة أيام كان يسعى هو وبعض من أصدقائه السيئين لتحضير روح ويبدو أن الرّوح كانت شريرة أو غاضبة اللّٰهُمَّ احفظنا، وغضبت لأنهم أزعجوها، وهكذا فعلت فيه.

وقفت مندهشاً مما أسمع ولا أصدقه. أو على الأرجح أني غير مستوعب لأنه لا يوجد سبب يجعله يختلق قصة كاذبة مثل هذه، فقلت لنفسي: ربما يريد أن أنصرف، واستأذنتُ بالانصراف ويبدو أن الشهور الماضية بيأسها قد أنهكت جسدي وقوتي، فلم أعد قادراً على إخفاء ملامح وجهي والتحكم فيما يدور داخلي، وهذا ما تأكدت منه عندما باغتني هو قائلاً:

_ أشعر أنك غير مصدقٍ، على كل حال هو في هذه الغرفة المغلقة، أوراقه وكتبه كلها بجواره، ادخل لتراه وخذ ما أردت من الكتب والأوراق، وأتمنى إن استطعتَ مساعدته في أمور أوراق الجامعة ساعده، لعلّ الله يصرف عنه هذه الرّوح الشريرة عما قريب ويعود إلى رشده وحياته... وقبل أن ينهي كلماته فتح الباب ووجدت نفسي أسير معه باتجاه الغرفة. لا أدري هل كان فضولاً أم ماذا حقاً لا أدري؟!!

دخلت فإذا بصديقي ملقىً على السرير نائماً على ظهره، وجهه شاحب عيناه مفتوحة ولكن نظرته حادة وثاقبة، يضع رأسه بين كفيه، ألقيتُ السلام وسألته عن حاله فلم يرد... فقط ينظر في صمت ولكن نظرته هذه ليست تلك النظرة التي عهدتها منه، رغم أنّه هو بشحمه ولحمه وجسده لكن للحظات شعرت أنه ليس هو، عادت ذاكرتي سريعاً واستحضرتُ المرات التي

كنا نجلس فيها في الجامعة ولا يصمت عن الكلام، حقيقة كان ثرثاراً يعشق الحركة ومداعبة الجميع، ماذا حل به ليجعله هكذا؟!!!

قطع تفكيري أخوه عندما قال:

_هكذا هو منذ عدة أيام، على كل حال أتمنى أن تبيتَ عندنا الليلة فلن تجد وسائل مواصلات متاحة حالياً، فقلت له:

_ لا، لابد أن أذهب وقطعاً سأعود لأطمئن عليه قريباً.

فأشار لي على طاولة الكتب وقال:

_ هذه كل متعلقاته وأعتذر منك لن أساعدك في تحضير الأوراق فأنا لا أجيد القراءة، ولكن هي أمامك خذ ما أردته وأتيتَ من أجله، وحاول ألّا تنسَ أمر مساعدته إن استطعت في تقديم أوراقه للتعيين. فقلت له: _حسناً.

ثم اقتربت من الكتب والأوراق ولسان حالي يقول: أي أوراق وكتب التي أتيت من أجلها؟!!!

أنا لم آتِ إلى هنا من أجل كتب وأوراق بل جئت لعلني أخرج من قوقعتي وأجد صديقي يساعدني، فوجدته هو من بحاجة إلى مساعدة، أيّ حظٍ عاثرٍ هذا الذي أعيشه؟!!

متأكد لو أن هناك جائزة لصاحب أسوأ حظ في الدنيا فإنني سأتعرض لحادث سير أو يصيبني مكروه وأنا ذاهبٌ لاستلامها، حاولت جمع أيّ كتب وأوراق حتى أخفي إحراجي أمام أخيه، ووضعتها في حقيبة واستأذنت بالانصراف. وأنا خارجٌ من باب الغرفة حدث شيء غريب!! فقد لمحت صديقي طريح الفراش يبتسم لي بقوة، فحاولت العودة سريعاً إليه ربما استفاق!!!!

ولكن الغريب أنني عندما استدرت بكامل جسدي له وحاولت العودة إلى سريره وانتبه أخيه لحركتي، نظرت مرة أخرى فإذا هو قد عاد لصمته وشحوب وجهه.. أين ذهبت تلك الابتسامة؟!!

أنا على يقين أنني قد رأيتها ولكن خوفي من الإحراج دفعني لأن أكمل طريقي في الخروج من المنزل والعودة إلى بيتي، طوال طريق رحلتي من البحيرة إلى محافظتي والتي تبعد كثيراً، لم أنتبه لما يدور حولي، كان كل ما يشغل رأسي حقاً تلك الابتسامة من صديقي، هل شعر أو علم بوجودي؟ هل فرح بذلك؟ هل هو الجن الذي أخبرني أخيه عنه هو من يبتسم؟!!! وكيف له أن يبتسم لي وهو لا يعرفني!!

أسئلة كثيرة تدور في رأسي، ما حال بيني وبينها إلا وصولي إلى بيتي، فقد رأيت اليأس وقد تهللت أساريره فرحاً بعودتي، فأيقنت أني لم أعُد إلى داري

وزنزانتي وقوقعتي ويأسي فقط، بل أيقنت أني عدت مرة أخرى إلى نقطة الصفر. عدت إلى حديثي للجدران، عدت إلى عزلتي، عدت ليس فقط لقلة الكلام بل انعدامه، عدت إلى عدم الرغبة في الحديث مع أحد، عدت إلى عدم الرغبة في رؤية أحد، عدت لأحتضن اليأس من جديد في عزلتي...

تلك العزلة التي أعلم يقيناً أنها سوف تقتلني يوماً ما، ولكني مستسلمٌ لها كلياً، كل الطرق تؤدي إلى العزلة عندي ولا مجال للتغيير.

الآن بات يقين بداخلي أن الواقع رفضني، والقدر رفض استقالتي، وعليّ بانتظار نعمة الموت لأن لعنة الأوجاع أهلكتني، نعم حقاً هذا ما أتمناه، الموت الآن، الموت ولا غير...

هذا هو الدواء الوحيد لدائي، وهل أنا أفضل ممن ماتوا؟!!

لقد ماتت أمي وهي جنتي في الأرض، وماتت حبيبتي من كانت شمسي في نهاري وقمري في ليلي، كانت ملاكي ومليكتي، و دوائي وقت دائي، وأملي وقت يأسي، ونوري في طريق ظلمتي، .....

جلست أنظر إلى أوراقي ودفاتري، وسقف غرفتي وجدرانها، وأتقلب في ذاكرتي مستعيداً تلك الذكريات الجميلة والتي لم أكن أريد أن أتذكرها

حقيقة، فاليوم علمت أن الذكريات الجميلة أشد وجعاً وأكثر إيلاماً من الذكريات السيئة.

أخرجتُ أوراقي وجلست أُقلِبُ فيها، وقع نظري على تدوينة بعنوان كن قوياً!!!

حقاً لم أكن أتذكرها جيداً، أو ربما عقلي هو الذي أصبح مريضاً وهشاً معطلاً، أغلق كل فروعه عدا الفرع الخاص بحبيبتي في عقلي الباطن، فقد بات الوحيد الذي يعمل.

النتيجة، دفعني الفضول لقراءتها وكان مكتوب فيها،...

اليوم لا أعلم ماذا بها؟!! أشعر أنها ليست بخير أو قلقة من أمرٍ ما!!!!

فبينما نجلس كعادتنا تحت تلك الشجرة نتحدث عن أحلامنا وحبنا وأنظر في عينيها كعادتي، إذا بها تقول لي كن قوياً، لم أعِرها اهتماماً ظننتها كلمة وسط الحديث لا مغزى منها ولا قصد، وتابعت حديثي عن الأحلام والحب ويبدو أنني نسيت أن المرأة لغزٌ، فقد أيقنت الآن أنها لم تكن عابرة بل قصدت بها شيئاً عندما كررتها مرة أخرى وسط الحديث، لفت انتباهي هذه المرة الطريقة التي قالتها بها ولكنها أيضاً تابعت الحديث عن أحلامنا مرة أخرى وكأنها لم تقل شيئاً، وبينما نتبادل أطراف الحديث وفي خضم الحوار

الدائر بيننا قالتها مرة أخرى كن قوياً!!! هنا كان لابد أن أتوقف لأعرف ما يدور داخلها، أنا على يقين أن هناك أمر جلل قد حدث، توقفت تماماً عن الحديث، ونظرت في عينيها قائلاً:

_ماذا بكِ يا قرة العين هذه هي المرة الثالثة التي تقولين فيها هذه الجملة، أخبريني ماذا بكِ يا جميلة الجميلات وملكة الملكات؟

فصمتت قليلاً ونظرت في عينيّ كثيراً وقالت، بعد أن تنهدت:

_أريدك قوياً لأنني أستمدُ قوتي منك، كن قوياً لأنك أن كنت تعلم أو لا تعلم فأنا من أول نظرة ومن أول همسة ومن أول كلمة كانت بيننا في أول لحظاتنا وقد ارتبطَ وتين قلبي بوتين قلبك حتى أصبحتُ أشعر وكأننا قلب واحد في جسدين لذا قلت لك كن قوياً، كي أظل أنا أيضاً قوية بك ومن أجلك ولك، وأثناء حديثها لمعت عيناها لمعة لم أفهمها ولا يمكن لبشر في الكون كائن من كان أن يفهمها. فيها اختصرت وبكل بساطة كل معاني العشق فارتجف قلبي كما لم يرتجف من قبل، لم يرتجف هكذا حتى حينما قلت لها أحبك أول مرة، ووجدتني أذهب إلى دوامة عميقة من التيه لبعض ثوانٍ، ثم عدت إلى اتزاني مرة أخرى وبدون أي إرادة وجدتني أقبلُ يدها وأنا

أرتجف كلي، حتى أنّ رجفتي وصلت إلى جسدها وقلت: أحبك، فوجدت كل ما فيها يقولها: كن قوياً... كن قوياً... كن قوياً....

انتهيت من قراءة الورقة بتدوينها وشعرت كأن جسدي يرتجف وقلبي يخفق لا أدري بأقصى سرعة أم أنه توقف ولم يعد ينبض؟!!

حقاً لا أعلم ولكني على يقين أنه ليس بخير فأخذت قلمي وأوراقي وكتبت الرسالة الأخيرة.....

"هذه آخر رسائلي إليك حبيبتي، لم أكن أتوقع أن أجلس يوماً لأكتب لك رسالة أخيرة، فقد أردتكِ أن تبقي معي طول العمر، ولكنها الدنيا يا فاتنتي، قاتلت بشرف من أجل أن تكوني لي، لكن حتى الشرفاء يخسرون معاركهم أحياناً، والموت مقاتل شرس لا يمكن هزيمته يعرف متى وكيف يسدد لكمته القاضية، وها هو يبدع في مشهد هوليودي ويلكمك أمام عيني وأنا أقف عاجزاً لأتفرج كما المشاهدين ليس لي أي ردة فعل...
لمَ أكون قوياً كي تستمدي قوتك مني كما طلبتي؟ وحتى أكون أكثر إنصافاً هذه ليست مرتي الأولى معك التي أخذلك فيها، ولم أكن قوياً فقد كنت ضعيفاً، ضعيفاً جداً أمام رفض أبيك، إنه العجز في أبهى صوره، نعم أنا عاجز عن أن أكون قوياً معك فسامحيني...
سأتركِ وأترك ذكراكِ وأرحل كما جيش مهزوم لم يعد لديه ما يقاتل من أجله، سألملم شتات خيبتي وضعفي وأنطلقُ بهم بعيداً عنك، فأنا لم أكن أستحقكِ، لكِ حبي وحياتي، ولتعِشي دوماً سعيدة."

انتهيت من كتابة الرسالة التي كنت صادقاً فيها وكانت الأخيرة فلم أكتب لها إلا ثلاثة وثلاثين بعد المائة والألف رسالة بعدها....

طويت الأوراق واستلقيت على سريري أحاول صُنعَ عالم جميل لي في عقلي، فقد أخبرني أحد مدرسي علم النفس وأنا في الثانوية. عن قانون ما يسمى الانجذاب وأن الإنسان يجذب الأحداث التي تدور معه والأشخاص والظروف التي تحيط به من حوله عبر موجات كهرومغناطيسية غير مرئية وموجودة في عقله الباطن، أي أن الإنسان عندما يفكر في شيءٍ ما، فإنه سوف ينجذب إليه، لأن العقل يعمل كالمغناطيس تساعده على ذلك الطاقة البشرية الهائلة التي لا تعترف بمسافات ولا تعرف أزمنة ولا أماكن، فما تفكر فيه بسرعة البرق ستصل طاقة تفكيرك إليه وتجذبه إليك، شراً كان أو خيراً، وبما أن الإنسان طبقاً لهذا القانون كالمغناطيس يجذب الأشخاص إليه والأحداث التي تتناسب مع طريقة تفكيره فقد قررت أن أغير طريقة تفكيري، وأفكر في أشياء جميلة لعلّ هذا القانون يعمل معي، واستلقيت على سريري،.....

بدأت تجتاحني عاصفة الذكريات وتذكرني بالماضي وأوقاته الرائعة وأحاديثه الطويلة وأحلامي الوردية، لم تكتفِ بالجميل فقط بل إنها أيضاً جاءت بكل خيبات الأمل في الماضي التعيس دفعة واحدة، بدأت بالجميل وانتهت

بالخيبة، وكأنها تفننت في استدراجي للعودة إلى قوقعتي كما أسير لديها و ترفض له الحرية، حاولت طرد كل تلك الذكريات والعودة إلى حياة طبيعية وأقطع ذلك العهد الذي تعاهدنا عليه أنا واليأس، نعم أريد أن أكون خائناً لعهدٍ لي ولأول مرة، ولكن نفسي تأبى وكأنها أحبت الحزن واليأس وتعودت عليهم.

فها هي الساعة الواحدة صباحاً وأنا مستلقٍ على سريري أحاول النوم وأتوسل إليه أن يزورني فقد اشتقت إليه، ولكنه أبى كما يفعل كل ليلة، أراقب سقف غرفتي كالمعتاد أتقلب على هذا الجانب تارة والجانب الآخر تارة أخرى، أنظر إلى أوراقي المبعثرة وأكواب القهوة المتناثرة على الطاولة وملابسي الملقاة في كل مكان..... أوقدت نور غرفتي لا أعلم ما السبب ولكنه أرق، وقع نظري في المرآة؛ فوجدت ملامح كئيبة، هالات سوداء تحت عينيّ، وشعر لا أعرف من أين يبدأ ولا أين ينتهي يبدو أنني لم أسرحه منذ فترة طويلة، ووجه شاحب، لم أصدق أن هذا هو أنا الذي أعرفه!!

ولكن الملامح معروفة هذا ليس سوى انعكاس الصورة في المرآة، منذ متى أصبحت هكذا يا أنا؟!!

أين ذلك الشاب المفعم بالحياة؟ وأين تلك العينان اللامعتان؟ ما هذا السواد حول عينيّ؟ لما كل هذا الحزن وهذه الكآبة؟ من فعل هذا بي؟!!

أهو على حبيبة لم تكن لي يوماً ولكن في لحظة سهو نام قلبي وانساق وراءها؟!!

أم على حلم انتظرته منذ زمن بعيد لكنه أبى أن يأتي؟

أم على والد لم أعرف منه في حياتي إلا الاضطهاد والتعسف؟

أم هو بسبب مجتمع ليس مجتمعي وقرية ليست قريتي وأهل ليسوا أهلي؟؟!

لا يهم أن تجيبني بواحدة منهم، المهم إلى متى؟ إلى متى ستبقى على هذه الحالة؟!!

أين رسوماتي المليئة بالألوان؟

أين كتاباتي المفعمة بالحياة؟

أين أحلامي الوردية؟

أين ابتسامتي التي لم تكن تفارقني؟!

أرهقتني أسئلتي فخارت قواي سريعاً لم تعد تحملني قدماي، فجلستُ على سريري ونظرت ملياً لانعكاسي في المرآة، تفاصيل كثيرة تغيرت أفكار كثيرة مبعثرة، في رأسي أصوات كثيرة تتحدث، لم أستطِع التركيز فقد كنت منهكاً،

أغمضت عينيّ وتنفست ملياً، ثم فتحتهم من جديد قائلاً بحسرة: هذا ليس أنا، لم أكن لأقبل يوماً أن يحصل لي هذا، أو أصل إلى هكذا حاله، لابد أن أعود إلى سابق عهدي فلا شيء يستحق أن أخسر كل تلك الأشياء الجميلة من أجله، الحياة لا تقف عند أحد ولا عند شيء، ستظل مستمرة ولن تنتهي، لابد أن أربح هذه المعركة ضد نفسي ربما الأمر هذه المرة أصعب لكني أستطيع، يكفي أن أبدأ، أعلم أن إرادتي أقوى وأنني سأتجاوز كل هذا..... هكذا جلست أحفز نفسي وأشجعها، لكن اليأس نطق داخلي قائلاً: عد إلى مكانك أيها الأحمق لن تغير شيء، ولا يمكنك فعل شيء، .....

رد عليه الأمل بصوتٍ أقوى قائلاً لي: لا تستسلم انهض لقد حان وقت التغيير، وقت العودة، تستطيع فعلها، تستطيع تجاوزها كما فعلت مع أشياء أخرى..... زاد الصراع بين الأمل واليأس والتلاسن بالألفاظ وأنا قابع مكاني لا أستطيع أن أبدي أي حركة ولا أعرف كفة من فيهم أرجح؟!!

عندها انفجرتُ بالبكاء بكيت وبكيت وسالت دموعي حتى انقطعت أنفاسي، انفجرت كل الدموع التي تجمعت منذ شهور طويلة وأجبرني هذا المجتمع الأحمق على إخفائها تحت قناع الهيبة والصمود، لم أدرِ ماذا حدث بعدها، ولكني على يقين أنني خلدت في سبات نوم عميق مع الثالثة فجراً كما

تعودت، وهذا يعني أن اليأس انتصر في الصراع هذه الليلة، والأمل انهزم فيكفيه خيبة أنه لم يستطِع تغيير موعد نومي.....

استيقظتُ في اليوم التالي وكل شيء كما هو، أعيش أنا ويأسي وحزني خلف جدران غرفتي كما سجين أحب زنزانته، مرت عدة ليالٍ وأيام لا أعرف ما عددها؟!!

استمر فيهم الصراع بين الأمل واليأس كان في كل مرة ينتصر اليأس ولا يحدث أي تغيير يذكر.

بل إنني كنت أجد نفسي أنغمس أكثر فأكثر داخل اليأس، كما من سقط في رمال متحركة كل محاولة منه للخروج منها ينغمس فيها أكثر، ويتلاشى الأمل شيئاً فشيئاً حتى اندثر، واختفى تماماً....

هذا الأمل أعتقد أنه كان من الممكن أن ينتصر يوماً وأعود إلى طبيعتي لو أن أحدهم طرق بابي ولو لمرة واحدة، وطلب مني الخروج، وشعرت ولو لمرة واحدة أن يدَ أحدهم تحتويني ولكن هذا لم يحدث ....

فتمكن اليأس، وأصبحتُ أنا والعزلة صديقين بيننا من المودة ما لا توجد بين البشر، صادقت العزلة في العزلة، وقضيت سنيني أتألم، لم أستطع أن

أكمل سيري، فجلست وحيداً أتعلل، بررت جميع حماقاتي وظننت بأني أتجمل، ماتت أمامي أحلامي، والمؤسف أنني كنت أنا الجاني.

تمر أيام وأيام لا أرى فيها الشمس، ولا أعلم ماذا يحدث في الخارج، أيام طويلة لم يفتح فيها بابي ولو لدقيقة واحدة، أيام طويلة لا أسمع صوت أحد، أيام طويلة لا أفتح فمي بكلمة حتى إني بعض الوقت كنت أتحدث مع الجدران خشية أن أنسى الكلام، أيام طويلة أكتب وأدون الخيبة والحسرة والألم وصداقتي مع اليأس، قد تختلف فيها المفردات ولكن النتيجة واحدة....

تكاثرت التراكمات، والتراكمات قاتلة مفعولها كالسم تقتل بدم بارد، لا تزهق الحياة وتتركك تستريح، لا، إنما تبدأ بالقلب، تحول ذلك اللين بداخله إلى قسوة، وتدخل على الآمال والأحلام تحتضنها وكأنه حضن حنان، ولكنها سرعان ما تعتصرها وتلدغها واضعة سمها فيها وتقتلها. التراكمات قاتلة حد الموت هي أشد فتكاً من كل أسلحة الدمار.

لو كان لي أحد عزيز وأردت أن أنصحه لقلت له:

_ احذر التراكمات فهي ملعونة لا تعرف عزيزاً، لا تكابر في احتوائها واحتضانها كي لا تلدغك وترديك قتيلاً.....

مرت الأيام هكذا وأنا قابع في غرفتي، مع يأسي ودفاتري وقلمي، أخمد نار جرحي تارة فتشتعل نار الفراق أخرى، أعود لإخمادها فيشتعل نار جرحي، فقد كان جرحي كبيراً وغائراً ونيران الفراق تصل حد الأعماق، وذات يوم وبينما أتجول في غرفتي كعادتي أحادث الجدران وأراقب السقف وكل شيء غير مرتب، تعثرت قدمي بحقيبة فسقطت من الحقيبة كتب وأوراق غريبة الشكل غير مألوفة عندي، فأنا أعرف كتبي، ....

اقتربت منها وأخرجتها ولولا أني رأيت اسم صديقي الذي يسكن البحيرة على إحدى هذه الكتب وتذكرت أني حين ذهبت إليه جمعت بعض الكتب خشية الإحراج من أخيه، أقسم لولا الاسم ما تذكرت شيئاً عنها فحقاً أشعر أن عقلي يتراجع بسرعة كما لو كنت أعيد نفسي إلى تلك العصور البدائية، البدائية جداً حيث الإنسان لم يكن يعرف الكلام، وما الاختلاف بيني وبين من عاش في تلك الحقبة؟!!!

فها أنا ذا مر ما يقارب العامين وأنا جالس حبيس جدران غرفتي، لم أتحدث إلى أحد ولم يتحدث معي أحد، فجلست أتقلب بين هذه الكتب بعضها أعرفه هو للدراسة أيام الجامعة، والبعض الآخر صور ومقالات من مجلات، والبعض لم أعرف منه شيئاً، فيبدو أنه كتب بلغة غير العربية وحتى

الانجليزية، هو عبارة عن طلاسم، وكتاب اسمه "شمس المعارف" بالكاد قرأت اسمه، يبدو أنه نسخة قديمة جداً عنده، لا أدري من أين حصل عليها؟!!

ولكن استوقفتني بعض من ورقات كثيرة لكتاب اسمه "العزيف" قد كتب على مقدمتها بخط يده، (هذا الكتاب مشهور جداً في السحر وكاتبه يمني اسمه "عبد الله الحظرد" وهو عبارة عن مخطوطة سحر من أشد المخطوطات رعباً، هدفها الأسمى تحضير أرواح الموتى والتواصل معهم وربما استعبادهم، وبها وصفٌ دقيقٌ لأساليب سحرية عديدة لتقصي الماضي الغامض وإنطاق جثث الموتى وإعادة إحيائها واستحضار الأرواح وكيفية رسم الدوائر والتعاويذ وكيفية تقديم القرابين البشرية)

انتهيت من قراءة هذه المقدمة وانتفض جسدي نفضة، وكأنه صُعق بتيار كهربائي عام، وانقبض قلبي لا أعرف إن كان هذا سببه الخوف مما قرأت، أو أنّ ما قرأته أحيا بداخلي أشياءً غريبة قد ماتت مع موت حبيبتي؟ ويبدو أنها الثانية أكثر، فقد شعرت بحجم اشتياقٍ اجتاحني وكأنه الموج الهائج....

وعندما تشعر بالاشتياق لشخصٍ ميتٍ وقتها فقط سوف تدرك تفاهة اشتياقك لشخص حيّ...

بدأت الأسئلة تتوالى على ذهني، والأمل بدأ ينفض الغبار من على وجهه، أيعقل أنّ هذه الأوراق تستطيع إنطاق جثث الموتى وإعادة إحيائها؟!!!

إذاً فمن الممكن أن أستحضرَ روح معشوقتي وأخبرها أني مازلتُ أحبها وأني وفيٌ لها، ولكن كيف؟!!!!

دفعني الفضول لأتقلبَ بين كل الكتب والأوراق، الغريب في الأمر والذي أثار انتباهي أني وجدتها جميعاً تبدأ بالبسملة ولكن هذه البسملة تختلف عن تلك التي نعرفها، فهنا دائماً "باسم لوسيفر"...

أصابني الجنون مَنْ "لوسيفر"؟!! وما هذه الأوراق؟!!!

فبعضها حاولت قراءتها ولكني لم أستطع فهم شيء، جلست أقلّبُ الأوراق حتى أعرف مَنْ "لوسيفر" هذا؟!.... وبينما أقلّبُ وجدت ورقة أيضاً كتبت بخط يد صديقي فيها تعريف من "لوسيفر" وقد جاء فيها:

" لوسيفر: كلمة لاتينية بمعنى حامل الضوء، وهو مصطلح فلكي روماني ويعني نجم النهار أو كوكب الزهرة المضيء، وفي الأصل الإغريقي يعني حامل الفجر وفي اللغة العبرية يعني المضيء، وفي الفلسفة المسيحية يعتبر لوسيفر كبير الملائكة وفي عقيدتهم يقال أنّ غروره أدى إلى طرده من الجنة فأصبح شيطاناً، وفي الأساطير الإغريقية يلقبونه برومثيوس، أي سارق النار، وفي

الأديان السماوية هو إبليس أو الملك المطرود من الرحمة الذي يكره البشر ويسعى إلى جرهم إلى الشر...."

انتهيتُ من قراءة هذا التعريف وشعرت وكأن عقلي تثاقل من كثرة الخوف وقلت لنفسي:

_إذاً "لوسيفر" هذا هو الشيطان ويكره البشر فلماذا كل الكتابات هذه تبدأ بتقديسه؟!!!

حاولت طي الأوراق وإبعادها عني فأنا من الأساس مرهق وليس عندي أي طاقة متبقية من صراعي مع اليأس أضيعها في الحديث والقراءة عن الشياطين.

تركت أوراق صديقي، وجلست أقلّبُ أوراقي ودفاتري، أتذكر حبيبتي وفراقنا، فالليل قاسٍ واليأس قاتل، وأنا لا أستطيع النوم قبل الثالثة فجراً كعادتي....

جلستُ وبينما أنا جالس هكذا وقد بدأ الوقت يتأخر أظن أنني كنت بعد منتصف الليل، وقد أصبح السكون يخيم على القرية وعلى بيتي، وبينما أقلبُ في أوراق حبيبتي وأتذكر كلماتها، لفت انتباهي شيءٌ غريب، فقد شعرت أن أحداً يتحرك في الصالة....

قمت من مكاني وخرجت إلى الصالة، فلم أرَ شيئاً!! ولكن باب الغرفة وجدته يغلق وكأنّ شيئاً أو أحداً أغلقه في وجهي!!! عدت إلى الباب حاولت فتحه ولكني لم أستطع..

وقفت مكاني مذهولاً مما يحدث، وفجأة انفتح الباب دون أن ألمسه، دخلت لأرى من أغلق الباب من الداخل فلم أجد أحداً!!

فقلت في نفسي: لابد أنّ الهواء هو من أغلقه، ولكن أيّ هواء هذا الذي يغلق الباب؟!!!

حتى وإن حدث وأغلقه، فهل من المعقول أن يفتحه؟!!!

بدأ الجنون يصيب عقلي، والخوف يتملكني، ولكني أقنعت نفسي أنه الهواء لا جدال في ذلك.

وكانت الثالثة فجراً قد حانت فغلبني النوم سريعاً....

وأثناء نومي رأيت شيئاً غريباً، فقد رأيت في منامي مخلوق قصير جداً بأعين حمراء، وقرون، ويكسوا جسده الشعر، منبطحاً تحت سريري وأنا نائم على السرير، وقام من تحت السرير ونظر لي بشكل مرعب، فصرخت من الرعب وظللت أصرخ في منامي وكأنه واقع حتى استيقظت فزعاً وأنا أصرخ من الخوف، حمدت الله أنه كان كابوساً، شربت بعضاً من الماء وهدأت من روعي

بعد أن أيقنت أنه كان مجرد كابوس، ولأطمئن نفسي أكثر نظرت تحت سريري بعد أن أشعلت الأنوار فلم أجد شيئاً إلا بعضاً من أغراضي، وملابسي المهملة، والدمية التي أهملتها منذ وفاة حبيبتي وكانت قد أهدتني إياها، أخرجتها ونفضت عنها الغبار، وجلست أتذكر ذلك اليوم الذي طلبت مني فيه أن أحتفظ بهذه الدمية لي، فقد كانت من إحدى عماتها وهي لا تحبها لذا أعطتها لي.

نظرت إليها كثيراً وكلما كنت أنظر إليها كلما شعرت بعدم ارتياح هذه المرة ولا أعرف السبب؟!!

فقد كنت أشعر أنَّ شيئاً غريباً فيها...

وضعتها مرة أخرى تحت السرير وذهبت إلى الحمام لأغسل وجهي بالماء.

وقفت أمام المرآة أفكر فيما حدث وما رأيت في منامي، لكني شعرت بأن أحداً ما يراقبني، خرجت من الحمام مسرعاً لأجد الدمية أمام باب الحمام كأنّ أحداً ما ألقاها هنا، أخذت أبحث عن أحد في البيت لكني لم أجد أحداً!!

الأسوأ أني لم أجد الدمية مكانها أمام الحمام، وعندما بحثت عنها وجدتها أسفل السرير كما وضعتها!!

لم أفهم ماذا حدث!!! وهل هذا كله حلم أم حقيقة؟!!!

كم تمنيت أن يكون معي أحد الآن غير يأسي؛ فأخبره بما يدور، لينتشلني من هذا الجنون..

حاولت أقناع نفسي أنّ ما حدث كله أوهام لا أكثر..

ولكن الفضول دفعني للتقلب بين أوراق صديقي لعلي أجد فيها تفسيراً عمّا يدور حولي،...

جلست أتقلب وأتقلب حتى كدت أخرُّ صريعاً من هول المفاجئة عندما قرأت في إحدى صفحاته أن الدمية من أحد مداخل الجن للإنسان، فقد يسكنها الجن وخاصة إن تركت لفترة طويلة دون أن يستخدمها أحد..

امتلأ قلبي بالذعر والخوف مما قرأت، شعرت بروحي تخرج من جسدي، تملكني الخوف حقيقة وليس مجازاً، حتى شعرت أنني لا يمكنني أن أبيت في بيتي هذه الليلة وعندي هذه الأوراق وهذه الدمية...

فقررت أن أتخلص منهم في الصباح.

انتظرت حتى بدأ نور الشمس ووضعت أوراق صديقي والدمية في أحد أكياس البلاستيك، وانطلقت بهم بعيداً عن القرية وقمت بإلقائهم في مكان بعيد ومهجور لا يذهب هناك أحد، ثم عدت إلى بيتي وقد حاولت تهدئة روعي، ولأنني لم أنم طوال الليل والإرهاق ليس فقط إرهاق الجسد ولكن إرهاق

العقل أيضاً قد يجعلك تشعر بأنك بالٍ وهشٌ تماماً، فسرعان ما غلبني نومي لا أدري كم من الوقت مرَّ وأنا نائم؟!!!

لم أستيقظ سوى على صوت طرق الباب لم أصدق في البداية أنَّ أحدهم يطرق بابي وهذا لم يحدث منذ فترة طويلة، ولم يزُرني أحد من ليلة العيد تلك التي جاؤوا فيها يسهرون عندي فقط....

ومع طرقات الباب التي لا تهدأ، خرجت لأرى من بالخارج فقد أصبحت متيقناً أنّ أحدهم خارج الباب.

سألت من الطارق؟!! فلم يُجِب أحد، فخرجت وفتحت الباب كان وقت الظهيرة عرفت ذلك من شدة الحرارة ومن الهدوء الذي يخيم على الطرقات فلا يوجد أحد يمر في الطريق، فتحت الباب فإذا بامرأة كبيرة مسنة ظهرها انحنى تتكئ على عصا تستند عليها وتضع رأسها بين كفيها التي وضعتهم على العصا

وجالسة أمام بيتي سألتها قائلاً: مرحباً أمي ماذا تريدين؟

_فقالت: يبدو أنك كنت نائماً وأزعجتك، أعتذر منك يا بني.

_فقلت لها: لا عليك أماه، ولكن من أنتِ وماذا تريدين؟

فاستدارت لي بوجهها، كانت كبيرة جداً في السن لا يوجد بها إلا سناً واحدة، حاجبيها شعرهم أبيض كاملاً، بها ضفيرتين من شعرها مفرودتين من تحت الغطاء التي تغطي به رأسها، كلهم بيض أكاد أجزم أنّ لا شعرة واحدة سوداء فيها ولكنّه شَعرٌ كثيفٌ وطويلٌ، الانكماشُ على جلدها في يديها ووجهها لا تحتاج معاناة لمعرفته ورؤيته، بها وشم في ذقنها كبير نظرت لي وقالت: أنا امرأة يا ولدي من قرية بعيدة عن قريتكم وليس لي أولاد وقد توفي زوجي منذ سنوات طوال، وليس لي عائل يعيلني في هذه الحياة، لذا أنا أجوب القرى بحثاً عن طعام وقوت يومي، فهل أجد عندك بعضاً من طعام؟

وقفت مندهشاً من كلماتها فما قالته يشبهني تماماً كلانا وحيد في هذه الدنيا يا أمي كدت أن أخبرها ذلك ولكني لم أرد إرهاقها فيكفيها ما هي فيه،

وقلت لها: تفضلي وسأجهز لك طعام، دخلت المطبخ وقفت حائراً ماذا أقدم لها؟! فأنا من الأساس لا أذكر آخر مرة قمت بالطبخ فيها، بحثت لم أجد إلا بعضاً من جبنة وخبز يابس، وقفت في المطبخ لا أدري ماذا أفعل وماذا أقدم لها، سرحت بخيالي أبكي حسرة على حالي، ورغم أن هذا ما أعيشه منذ فترة طويلة إلا أنني لم أنتبه إلا الآن، ووسط شرودي شعرت بشيء خلفي يقترب شيئاً فشيئاً، انتابني الخوف لم أستطِع الحركة، الحركة تقترب أكثر

وأكثر... فألتفتُ مسرعاً فإذا بالمرأة خلفي لم أدرِ ماذا أقول فقطعت هي الصمت قائلة:

_تأخرت عليّ فجئت أتعجلك فالجوع قد بلغ مني مبلغه،

_فقلت لها: كنت أبحث لك عن شيء فلم أجد إلا هذا الخبز والجبن.

_فقالت: لا بأس.

_ وضعته لها وسألتها: من أي قرية أنتِ؟

_فقالت: من هناك.

_ استغربت وقلت لها: ألا تذكرين اسم القرية؟

_فقالت: تعيش وحدك؟

استغربت أنها لم تجبني على سؤالي ولكني أجبتُها:

_نعم أعيش لوحدي.

_ فقالت لي: عامان وشهران تعيش وحيداً أليس هذا ضربٌ من الجنون؟!!

فتعجبت أنا نفسي لا أعرف كم المدة حقيقة، فكيف عرفت، فسألتها:

_ كيف عرفتي؟!!

_فقالت: لست بحاجة لأستمع منك أو من أحد فالخراب الذي يحل بدارك ليس بحاجة إلى أن تخبرني هو من أخبرني، فأنا تخطيت السبعين يا ولدي.

فسألتها:

_ وماذا رأيتِ أيضاً بخبرتك؟!

_ قالت: رأيت يأساً دخل دارك ضيفاً ولكنه تكاثر وتمكن حتى أصبحت أنتَ ضيفه.

تعجبتُ من كلماتها ولكني سألتها:

_وماذا أيضاً؟

_فقالت: إنك دخلت دائرة ولا يمكنك التملص من إكمالها، تماماً كما ذبابة أعجبها العسل فعرضت دينار لمن يوصلها إليه، وعندما انغمست بداخله عرضت عشرة دنانير لتخرج، هي لن تخرج كما لن تخرج أنت وكل محاولاتك للخروج ستجعلك تنغمس أكثر.

تعجبت من كلماتها حقاً لم أفهمها ولكنها لم ترِحني، فسألتها:

_ ماذا تقصدين أنا لم أفهمك؟!!

_فقالت: قريباً ستفهم كل شيء عندما يقرر أن تفهم سوف تفهم ولكن الآن لابد أن أرحل...

_ فقلت متعجباً: من هو الذي يقرر أن أفهم ومتى؟!!

ولكنها لم ترد وقامت من مكانها تنوي الرحيل، حاولت أن أجعلها تجلس ولكن لم أستطِع، الغريب أنها لم تأكل شيئاً من الطعام ولم تلمسه لم أنتبه لذلك إلا بعد أن تحركت خطوات، فناديتها قائلاً:

_لمَ لمْ تأكلي والجوع قد بلغ منكِ مبلغه، ألم يعجبك طعامي؟ هذا ما أملكه ولكن إن أردتِ طعاماً يطيب لمعدتك، فاذهبي إلى أحد كبار القرية فهم أهل كرم....

وما أن أتممت كلامي حتى ضحكت ضحكة عالية وقالت: لا كبير إلا هو ولكن اطمئن، أنا أكلت، أنت فقط لم ترَ، وذهبت سريعاً لم أفهم كلامها وأي غموض هذا الذي تمتلكه هذه العجوز؟

الطعام حقاً لم تلمسه أيضاً كلماتها ومعرفتها بالمدة التي قضيتها قابعاً في بيتي وحدي؟

وماذا عن الدائرة التي لابد أن أكملها؟

أصابني التوتر والخوف من كلماتها ولكني طردت مخاوفي معللاً ذلك بكبر سنها وكثرة خبرتها، فالبيت حالته خربة ومن الطبيعي أن تقول ما قالت خاصة أني أخبرتها أني أعيش وحيداً...

أغلقت الباب وعدت إلى غرفتي حاولت النوم ولكني لم أستطع وبعد دقائق إذا بصوت يضرب ويكسر شيئاً في البيت، خرجت ولكني لم أجد أحداً، ولكن باب غرفة داخلية في آخر الدار هو ما كان يصدر هذا الصوت فقد كان يتحرك، الغريب أنه لا يوجد هواء، فنحن في وقت الظهيرة والجو حار، إنه منتصف آب ولكني لم أنتبه ولم أعرهُ اهتماماً، مرَّ الوقت حاولت النوم فلم أستطع، قلبتُ بين دفاتري وأوراقي استوقفتني تدوينة بعنوان ملائكة وشياطين وقد كتبت فيها؛ أرى وألمح في نظراتهم التعالي والاستنكار يظنون أنفسهم ملائكة الأرض وأنا شيطان رجيم، في الحقيقة أنا لست شيطاناً وهم ليسوا ملائكة، كم أتمنى أن يقترب أحدهم ويسألني عن أسباب حزني وعزلتي....

كنت سأسأله أتعرف ما معنى أن يكون من تحب ليس لك مرغماً؟!!

كنت سأسأله هل يعرف ما معنى أن يسكنه شعور الخيبة ويتملكه حتى يكاد أن يرديه قتيلاً؟!!

تماماً كما خيبة عصفور عاش طوال حياته يبني عشاً له على فرع شجرة وعندما انتهى من بنائه قاموا بقطع غصن الشجرة.

أعتقد أن أحدهم لن يستطيع فهم أسئلتي لذا سأحاول أن أوضح له هذا الشعور، فليس مَن رأى كمن سمع، سأخبره حقيقة هذا الشعور المؤلم، سأخبره أن هذا الشعور يجعلك تشعر وكأنك عصفور في قفص حديدي، ترى أسراب بني جلدتك يطلقون العنان لأجنحتهم بحرية، فيذهبوا أينما شاؤوا وأنت مقيد غير قادر على التحليق، أو كما مغترب لم يكفِه عناء فراق أهله ووطنه، بل جاء مواطن عنصري يرمقه بنظرة استحقار وقحة مصحوبة بكلمات مسمومة بأن هذه بلدي وليست بلدك، وفي النهاية سأعتذر له فحقاً أنا أخطأتُ عندما ظننتُ أنني أستطيع وصف هذا الإحساس ولكن كل الحروف والكلمات عاجزة، فقط اعلموا أني لست الشيطان السَيِّئ وأنتم لستم ملائكة الأرض....

انتهيت من قراءة هذه التدوينة وانتابني الضجر والضيق أكثر، فتركت الأوراق وجلست على سريري...

مر الوقت وأنا هكذا، فأنا على يقين أن النوم لن يأتيني قبل الثالثة فجراً، لذا لا داعي لعناء المحاولة...

كما أنني حاولت أن أريح صدري ولو قليلاً، فأخبرت نفسي أن أحداً لم يهتم ولم يسأل، فلا داعي لهذا الحزن. وبينما أنا هكذا، شعرت بأن أحداً يقف أمام

باب الغرفة فيبدو أنّ الظلام قد حل وأنا لم أنتبه، ومنذ متى وأنا أنتبه من الأساس أن الليل قد حان!!

كل ما أنتبه له حزني، فالأشياء التي أحببتها جميعاً هربت مني، حتى نفسي رفضت التحدث معي للتفاوض بشأن ما أنا فيه، وكأن كل الطرق تؤدي إلى الوحدة واليأس والعزلة، وها أنا ذا حزين بائس ويائس من كل شيء، حتى أنني لم أعِر الواقف أمام باب الغرفة أي انتباه فهو خيال ليس إلا، ومن معي في البيت؟!!

لا يوجد أحد، لمَ أكلف نفسي مجهوداً وأقف وأخرج لأرى هذا الخيال؟ هكذا قلت لنفسي... ولكن هذا الخيال لم يكتفِ بالحركة وصورته التي تنبعث من ثقب الباب ولكن بدأت أصوات حركة سريعة أمام الباب مما اضطرني للخروج فربما كلب أو قط دخل ولا يعرف كيف يخرج...

فتحت الباب نظرت في الرواق الذي انتصف البيت لا شيء، حتى أنه لا أثر لمصدر الخيال، نظرت في الغرف التي بجواري لا يوجد شيئاً أيضاً، قررت العودة إلى غرفتي وقبل أن أدخل رأيت ضوء الغرفة الأخيرة في الدار يُضيءُ وينطفِئ كثيراً، قلت ربما نسيته لكن ما الذي يجعله يُضيءُ وينطفِئ هكذا؟!!

تحركت ببطءٍ في الرواق متجهاً باتجاه الغرفة الأخيرة، وقبل أن أفتح الباب وقفت متسمّراً مكاني، فهناك خيال يتضح أمامي داخل الغرفة لبشرٍ، ناديت فلم يُجِبْ أحد، وقفت مكاني لا أدري ماذا أفعل؟!!

وبينما أنا هكذا إذا بالإضاءة تشتعل كلياً في هذه الغرفة مما شجعني على الدخول، دخلت نظرت في أنحاء الغرفة فلم أجد أحداً فاطمئن قلبي، وقلت لعلّها اللمبة هي من تفعل ذلك من تلقاء نفسها، وأن أحد الأسلاك لا يصلها بشكلٍ جيد، فقررت أن أطفِئ مقبس الكهرباء وأخرج من الغرفة، ولكني قبل أن أضع يدي على المقبس بدأت الإضاءة تشتعل وتنطفئ من جديد، اقتربت من الطاولة لأقوم بتثبيت اللمبة، وبينما أقترب من الطاولة إذا بي ألمح حقيبة على الطاولة تحت اللمبة مباشرة، هذه الحقيبة غريبة لم أرَها من قبل في بيتي، اقتربتُ منها ودفعني فضولي لفتحتها، فتحتها فأصابني الخوف وتسلل جسدي، فالحقيبة بداخلها الدمية وأوراق صديقي التي تخلصت منهم في الصباح!! كيف عادت إلى هنا؟!!

جُنَّ جنوني وتملكني الخوف، وبدأ قلبي ينتفض من الرعب، حاولت أن أقنع نفسي أنني ربما تخلصت من حقيبة أخرى ونسيت هذه، ولكني على يقين أني لم أخطِئ الحقيبة، وأنني بالفعل تخلصت منهم، وما أكدَ هذا أنني حتى لو

تخلصت من حقيبة بها أشياء غير أوراق صديقي والدمية، إذاً فمَنْ وضع هذه الأوراق والدمية في هذه الحقيبة؟!!!

هذه الحقيبة لم تكن يوماً في بيتي ولم أرَها قط، ووسط شرود ذهني وأنا جالس أنظر إلى الحقيبة وهي أمامي، وبينما أنا هكذا إذا بي أشعر بأنّ أحداً يقف ورائي لم يتحرك ولكن حرارة أنفاسه أشعر بها كأنها لهيب نار، أشعر بها تقترب أكثر فأكثر... أحاول أن أنظر للوراء ولكن أشعر وكأن جسدي لم يعد تحت أمري؛ فعقلي يريد الالتفات للوراء ولكن الجسد أصبح مشلولاً لا يقوى على الحركة، وبعد معاناة ومع اقتراب حرارة النفس ورائي أكثر وأكثر استجمعت قوتي والتفت بسرعة للوراء، وإذا بامرأة شديدة الطول كثيفة الشعر تقف ورائي، لم أستطع أن أنبس ببنت شفة من كثرة الصدمة، وقبل أن أسألها من أنتِ؟ إذا بها ترفع يدها لتزيح الشعر عن وجهها، أصابني الفزع من يديها فشعرها كثيف وأظافرها طويلة، أصبحتُ متجمداً مكاني وعندما أزالت الشعر عن وجهها!!!

ليتها ما أزاحته فقد كانت عيناها شديدة الاحمرار وكأنهما شعاعان من نار، وجهها ليس به أي علامات من علامات البشر!!!!!

تشعر وكأنها مومياء متحركة، لم أعرف إذا كان هذا عظام أم لحم خرج لتوه من فرن حراري صرخت فزعاً مما رأيت.

صرخت صرخات متتالية حتى فقدت صوابي وعقلي وسقطت على الأرض مغشياً عليّ، لم أدرِ ماذا حدث بعدها ولا كم من الوقت مرّ وأنا هكذا؟!!!

استيقظتُ في الصباح تذكرت كل ما حدث ليلة البارحة، فكرت في التخلص من الأوراق والدمية مرة أخرى ولكن في نفسي أعلم أنه لا فائدة من ذلك، يبدو أنها لعنة أصابتني وأنها كما عادت مرة ستعود كل مرة، إذاً ماذا تريد مني هذه الأوراق وهذه الدمية الملعونة؟!!!

دفعني فضول اليأس للتقلب بين الأوراق، نعم دفعني فضول اليأس، فماذا سيحدث؟!!!

لن يحدث ما هو أكثر إساءة لي مما حدث... وهل هناك أسوأ من أن تكون حبيس غرفتك تحادث جدرانها وتتأمل في سقفها لما يزيد عن عامين كاملين؟!!

ولم يسأل عنك أحد منهم!!! لم يعد لي أحد، كنت في البداية أظن أن لا أحد يهتم لأمري أما الآن أنا على يقين أنه لا يهتم أحد لأمري...

فقمت بإخراج أوراق صديقي وجلست أقلّبُ فيها، استوقفتني فيها أوراق كتبت بخط اليد وهو مؤكد خط يد صديقي، يتحدث فيها عن استحضار لأحد الموتى وقد جاء فيها:

اليوم سوف نقوم بتحضير روح مات صاحبها في ظروف غامضة ولم يتم العثور على الجثة، وقد اتهم أخوته زوجته في قتله وإخفاء جثته هي وعشيقها لتفوز بثروته، والمرأة تكذب هذا الكلام، سيحضر هذه الجلسة أخوته الاثنان والمرأة والعشيق المتهم وأنا وخادم الجلسة وسيدها الساحر غفران...

بدأت الجلسة في مكان مهجور في إحدى غرف بيت الساحر غفران في غرفة لا يصلها أيٌّ من الهواء والشمس هي غرفة الخلوة التي يخلو فيها غفران بشيطانه السيد، في منتصف الغرفة طاولة حولها الكثير من الكراسي، الباب مغلق، الإضاءة معدمة، اشترط غفران على الجميع بالتزام الصمت وأن لا يتحدث أحدهم إلا بعد أن يأخذ أمر الشيطان السيد والذي سيحضر روح الرجل من العالم الآخر، وضع غفران الكثير من الشموع على الطاولة بطريقة منظمة اختارها هو، قام بإشعال شمعة واحدة التي تنتصف الطاولة، وبدأ في تلاوة التعاويذ، منها عندما تجتمع الأرواح والجن يجب على الإنسان الصمت...

"أيتها الرّوح احضري واقضي على كل الشكوك واقلبي حياة الظالم جحيماً وازرعي في قلبه الخوف... أيتها الرّوح احضري وبرئي المظلوم.... أيتها الرّوح عليك بالحضور كلنا ننتظرك...."

بدأ الجميع في الجلسة يشعر بالخوف والاضطراب، ولكن غفران أمر الجميع بالصمت، وطلب من الجميع أن تتشابك أيديهم ليشكلوا دائرة حول الطاولة، وبدأ يحذر من أن يقوم أحدنا بفك يده مهما كانت الأسباب، وبدأ يردد بقوة وبصوتٍ أعلى، إذا كان هناك أحد الأرواح يسمعني فعليه بالحضور وإظهار كل قدراته....

وصمت قليلاً وقال: أعلم أنكِ حضرتي أيتها الرّوح ولكن عليك أن تعطيني إشارة...

هنا بدأت كل الأشياء حولنا في هذه الغرفة تتحرك وكأن الجاذبية قد انعدمت وبدأت الأصوات في التعالي وشخص يصرخ بقوة كأنه يستغيث وصمت الصراخ قليلاً، وبدأت الرّوح تتحدث بصوتٍ مرتفع أقرب ما يكون إلى الصراخ كما بدا عليها الغضب والجزع بشكلٍ واضحٍ جداً...

ودار بين غفران وبينها الحوار التالي....

_الرّوح: لماذا استدعيتموني؟!

_غفران: طلب أقاربك استدعائك لأنهم يرغبون في معرفة مصيرك فهل هذا يضايقك؟!!

_ الرّوح بغضب: نعم يضايقني.

_غفران: هل متَ طبيعي؟

_الرّوح: لا.

وهنا اهتزت الطاولة التي نجلس عليها اهتزازاً عنيفاً حتى سقطت كل الأوراق التي عليها على الأرض.

_غفران: رجاءً كوني أكثر هدوءاً أيتها الرّوح فلماذا أنتَ منزعجٌ هكذا؟

_الرّوح: لأني لا أريد رؤية أحد قاتلي.

_غفران: وهل قاتلك بيننا الآن؟

بدأ نور الشمعة في الارتعاش، ثم بدأ صوت وكأنّه لهاث شخصٍ متسارعٍ سرعان ما تحول إلى أنين مكتوم كأن شخصاً ما يحاول أن يتكلم ولكن صوته محتبس، ثم بدأ الصوت يأتي من كل مكان حولنا...

ثم توقف تماماً للحظة ثم فجأة انقلب المقعد الذي يجلس عليه أحد أخوة الرّوح، قاذفاً بجثمانه على الحائط ثم على الأرض، شعرت وكأنّها الضربة المميتة القاتلة وأن عظامه قد تحطمت، انتابني الخوف وكدت أن أفلت يد زوجة

الرّوح وأخرج هارباً، ولكن غفران أطبق يده الأخرى بقوة على يدي، فيبدو أنه علم بما يدور داخلي...

وبدأت الرّوح تصدر صرخات مكتومة وطويلة وتتمتم بكلام لا نفهمه، ولكن الصوتَ قريبٌ جداً هو أمامي مباشرة، نظرت بقوة إلى المقعد الذي كان يجلس عليه أخو الرّوح فإذا بالمقعد يعتدل ثم التفت نحونا وكأنه يشاطرنا الطاولة، المقعد فارغ ولكن مكان الجلوس غائراً، فطالب غفران الرّوح بالهدوء ومحاولة الكلام وسأله:

_هل أخوك هذا هو من قتلك؟

_الرّوح: نعم... هو هذا الأحمق وسأقتله يوماً ما ولكنني حبيس الآن.

_غفران: وكيف قتلك؟

هنا عاد هذا الصوت المكتوم والصراخ والأنين إلى الرّوح وصوت اللهاث وكأنه قتله مخنوقاً بعد مطاردة طويلة، وفجأة غضبت الرّوح فتناثرت كل محتويات الغرفة وكأنها عاصفة حارة ضربت الغرفة، وذهبت الرّوح بعد أن قلبت الطاولة والمقاعد فوق رؤوسنا، فأخبرنا غفران أنّ الرّوح تشترط عدم حضور أخوه إن أردنا إتمام الجلسة.

ولكن الخوف كان قد دب في عروقنا جميعاً، حتى أن المرأة قد أغمي عليها، وتوسلنا غفران أن ينهي الجلسة، أنهى غفران الجلسة وسنعود لاستحضارها قريباً ولكني خائف انتهى....

انتهيت من قراءة كلمات صديقي وانتابني الذعر والخوف، هل ما قرأته حقيقياً أم من وحي خياله؟!!!!

وماذا يحدث معي هذه الأيام هل أنا في كابوس. أم هو واقع أصبحت أعيش بداخله وانغرست فيه دون أن أدري أو أقصد؟!!

شعرت بغليان في رأسي بدأت تخور قواي، أشعر وكأني أصبحت إبرة في كومة قش وأنتظر منهم من يضحي بوقته ويحرق القش لينتشلني مما أنا فيه، ولكن لن يهتم منهم أحد الآن كما لم يهتموا منذ سنوات...

أنا الآن عالق بين الحياة والموت لا الحياة تقبلني ولا الموت فتح لي أبوابه؟!!

أنا من أضعت نفسي..... هكذا ظللت شارد الذهن أحدث نفسي ألومها تارة وألوم أهل القرية تارة أخرى،

فماذا لو أن أحدهم من البداية افتقدني وساعدني على النهوض من محنتي، وساعدني على بناء حاجز بيني وبين هذا اليأس اللعين الذي يستوطن روحي؟!!

أصبحت شارد الذهن لا أعلم كم من الوقت مرّ وأنا في حالتي هذه!!!

دفعني الفضول للبحث أكثر وأكثر في الأوراق والكتب فوجدت أيضاً صفحات كتبت بخط يد صديقي عن أسماء وملوك الجان وخدام الجن السفلي وكيفية تحضيرهم، وقد كتبهم بالترتيب كما يلي:

(1) الأسد الغضوب الملقب بأبو العهود والليث الوثوب ويستخدم في عمل الكره والبغض والطلاق والخلاف بين الزوج والزوجة.

(2) الملك زنقط ويحضر على هيئة قط أو نمر.

(3) القط الأسود وهو مشهور ويحضر، ولكن الكثيرين لا يعرفون اسمه وهو اسمه ظام وهو عون شديد من أعوان الملك ميمون أبانوخ وكان من المتمردين العصاة أيام سليمان وقد سلسله سليمان.

(4) خربط ابن الملك الأحمر وهو مسيحي ويتم تحضيره وقت صلاة الجمعة.

(5) طلمش وهو مسيحي أيضاً.

(6) عزازير هو ابن لوسيفر، يحضر في الحمام ولابد لمن يحضره أن يكون على غير طهارة، ويحضر على هيئة فيل ويطلب من الإنسان الذي حضره أن يسجد له وبعدها يلبي طلباته.

(7) زيتون وهو يحضر أيضاً في الحمام ولكن على هيئة قط أسود وتأخذه وتهمس في أذنه بما تريد أن يفعله لك.

(8) ساروخ هو الابن الأكبر لـ لوسيفر ولا يحضر إلا إذا كان من أراد تحضيره عرياناً ويقرأ عزيمته حتى يحضر.

(9) دنهش هو أقوى أولاد لوسيفر والحاكم عليهم وهو يحضر على هيئة شخص يرتدي عمامة، وهو أسود وفي يده اليسار يحمل دائماً صليباً.

(10) ذات المحاسن وهي إحدى ملكات الجان ولا تحضر إلا في المقابر.

(11)عائنة، يكتب من أراد تحضيرها على كفه الأيمن طلاسمها (بعلشقش داعوج) ويضع يده فوق البخور وينظر بوجهه إلى جهة الشرق ويقرأ هذه العزيمة، بعلشطل بعلشطل، بطر بطر، بكهشول بكهشول، بطععش بطععش، بيكشالش بيكشالش، بطغريوش بطغريوش، هلشول هلشول، أقسمت عليكِ أيتها الملكة عائنة بحق الاسم الذي نزل على الصخرة الصماء فتفتت، وعلى الأرض فتسطحت، وعلى الجبال فغرست، وعلى الليل فأظلم، وعلى النهار فأضاء، بعلشقش بعلشقش، آيات الله دعوج آيات الله دعوج، آيات الله أخفج، آيات الله أخفج، أجبي أيتها الملكة عائنة وعجلي واسمعي عزيمتي وأسرعي وشمي دخنتي واظهري لي بورك فيكِ وعليكِ، بعدها مباشرة ستكون بجوارك.

(12) نائلة أم الشعور المائلة، سميت بهذا الاسم لأن شعرها طويل وكثيف يغطيها وتستطيع الحضور بأي هيئة يحب أن يراها بها من يحضرها.

(13) بنات الخناس هم بنات شيطان اسمها الخناس ويحضرون في الحمام.

(14) ناصور هو من أشرس الشياطين وأقواهم على الإطلاق ويخشاه أغلب السحرة فلا يوجد كثير من السحرة يحضرونه لأن بأسه شديد، وبطشه أشد بمن يحضره.

(15) ميمون السياف، هو يقتل الظالم ويتصرف في الهلاك والتدمير والسقم والمرض، وقتل العارض في الجسد وغير ذلك وله أمور عجيبة وتصاريف مريبة، وعلى من أراد تحضيره أن يتربص له ثلاثة أيام في خلوة لا يتحدث مع أحد ويضع ظهره إلى خارج مكان الخلوة، ويتلو ويردد السماء ألف مرة فإن أتمها في ليلة يظهر له وإن أخطأ في العدد أو لم يستطع في ليلة واحدة فشرط ثلاث ليالٍ متتالية، بعدها يظهر لك ويشرط شروطه فإن قبلتها أراك جميع ما تحت الأرض والبحار وعاهدك على كل شيء، ودائماً ما تكون تعويذته، أعزم عليك أيها الرّوح الخاضع لله تعالى، المطيع لأمر ربه قاطع رقاب الجبابرة بإذن خالقه إلا ما أجبت بطيغمات بطيغمات، أيل أيل، بحوس بحوس، واعوت واعوت، شهاوم شهاوم، هيلا هيلا، شملا شملا، احضر إليّ

عجّل بالحضور من قاع البحور ومن تحت الصخور بالاسم الذي سخرك به سليمان في العشية والبكور.

(16) ميمون النكّاح وهو قوي، لتحضيره تكتب على الكف، أجب يا ميمون النكاح وتصور في صورتي ومثالي واذهب إلى ×بنت× وانكحها ولا تفارقها من العشاء حتى الصباح، وتردد أقسمت عليك يا إبليس بحق من خلقك من نار السموم، وأُمرتَ بالسجود لآدم أبا البشر ولم تسجد أجب بحق أجب بحق، وعلى الشاهد على الشاهد، وعلى الوسطى وعلى الوسطى خشططوش خشططوش، وعلى البنصر تكشاليوش تكشاليوش، وعلى الخنصر مخربوا ميطوش مخربوا ميطوش، ولا يحضر إلا يوم الخميس والجمعة والسبت....

انتهيت من قراءة هذه الأوراق وقد تصلبت أطرافي من الخوف، وتذكرت قصة ميمون هذا الذي أخبرني بها صديقي منذ سنوات، تسلل الخوف إلى جسدي....

أي طريق هذا؟!! وأي كارثة وجدت نفسي بداخلها!!!!!

لابد أن أتخلص من هذه الأوراق وهذه الدمية، فالأمر مرعب ولا يمكن اللعب فيه، لا بد من أن أنهي هذه المصيبة، طويت الأوراق ووضعتها هي والدمية في نفس الحقيبة وخرجت من الغرفة وأغلقتها....

كان غروب الشمس قد حان فجلست في غرفتي محاولاً أن أتناسى أمر هذه الأوراق التي قرأتها، ولا أدري ماذا أفعل؟!!

كل ما أتمناه أن يكون بجواري أحد الآن، أشعر برغبة أنني أريد أن أبوح بما في داخلي من ألم، أريد أن أشعر براحة أن أحدهم يعلم بما في داخلي حتى لو لم يساعدني، أريد فقط أن أخبر أحدهم بآلامي ولو من باب الفضفضة، ولكن لا أرى أن أحدهم يهتم، آاااااه كم أتمنى أن يكون بجواري أحد الآن....

العزلة والوحدة قاسية حد الموت، حتى أنني لا أعرف ماذا يدور حولي، غلبتني دموعي ولا أعرف أي عين هذه الذي تذرف دماً وليس دمعاً؟!!

الليلة أنا منهك حد الموت، لم تكتفِ هذه الليلة فقط باليأس الذي يلاحقني ولا الحزن الذي يسكنني ولا بالوحدة القاتلة فقد جاء الخوف ليتسلل إلى جسدي من أوراق صديقي وما يحدث معي، ليضيف إلى جسدي داءً آخر اسمه الخوف، وهل شفيت من اليأس والحزن والعزلة والوحدة، حتى يأتي هذا اللعين ليعيث في جسدي فساداً؟!!!

ظللت هكذا شارد الذهن... لم أنتبه حتى للظلام الذي يغطي المكان إلا عندما دخل قطٌ وجلس يتخبط في كل شيء في الغرفة هنا استفقت من هذه

الدوامة، وقمت بإشعال الإضاءة في الصالة وفي غرفتي التي أجلس فيها، وعندما أشعلت الأنوار بدأ القط في الاختباء خلف الأشياء، ولكنه كان في حالة فزع من الأنوار، وعندما اقتربت منه محاولاً إخراجه انكمش على نفسه وقد انتصب شعر جسده بالكامل، أما عيناه تخرج شعاعاً قوياً.

فكلما اقتربت منه كل ما تراجع إلى الوراء وهو بحالته هذه حتى وصل إلى آخر غرفة في البيت من الخلف، كانت الغرفة مظلمة يتسرب إليها بعض من ضوء الصالة الخارجية وكان الفراش ظاهر من خلال بابها المفتوح، تحركت بخطوات متباطئة وراء القط ونحو الغرفة..

خطوات كلها خوف وترقب، زاد الخوف والقلق والترقب والتوتر عندما خيل لي أني أرى شيئاً في الغرفة، هناك امرأة تجلس على طرف الفراش البعيد وظهرها نحو الباب، تسمّرت مكاني عند باب الغرفة تملكني الخوف واحتبست أنفاسي وانقبض صدري عندما رأيتها قد قامت من على السرير، وبدأت تقف في الظلام وتتحرك حتى اختفت في أحد زوايا الغرفة، تحركت مرتعشاً قلقاً باتجاه الغرفة، نظرت إلى السرير حيث كانت تجلس، ولكن ما أفزعني بل جعلني لا أقوى على حمل نفسي والتحكم في أعضائي، أني رأيت الغطاء الذي يوجد على السرير يتحرك للأسفل وللأعلى كما لو كان شخص نائماً يتنفس...

وقفت مذهولاً مما أرى، حاولت أن أقنع نفسي أنه خيال ولكن لا... هذا ليس خيالاً إنه يتنفس فعلاً، الغطاء يرتفع ويهبط كما لو كان بداخله كائن حيّ يتنفس، وضعت كلتا يدي على وجهي لأستفيق من أحلام اليقظة هذه ولكن دون جدوى، ولا إرادياً رغم خوفي وجدت قدمي تسير إلى السرير داخل الغرفة كما لو أنها انعزلت عن جسدي وتفعل عكس ما أريد، وصلت إلى السرير، وضعت يدي على الغطاء محاولاً لمسه فأحسست بشيء حارٍ يلامس كفي، ففزعت وجريت باتجاه مقبس الكهرباء لأفتحه، فإذا بالغطاء مرفوعاً في الهواء فوق السرير، تجمدت مكاني من الخوف وحدقت عيناي في ذهول، وبينما أنا مذهولٌ هكذا سمعت باب دولاب ملابسي يفتح خلفي، نظرت إليه فوجدته قد فُتحَ، تسمّرتُ مكاني من الخوف أصبح جسدي كقطعة خشب لم أستطِع الحركة بتاتاً، ثوانٍ مرت وإذا باب الدولاب يغلق لوحده كما فتح وحده وسقط الغطاء فجأة على السرير، وقفت متسمّراً مكاني هل أنا نائم وأحلم أم مستيقظ وهذا كله واقع؟!!!!

وبينما أنا هكذا في حالتي هذه إذا بصوت أنفاسٍ حارة خلفي شعرت بها فوق رأسي رغم أني أقف، فأخفضت رأسي بشكلٍ تلقائي كأنما أتفادى ضربة في رأسي واندفعت مسرعاً للأمام واستدرت خلفي أتلفت يميناً ويساراً فأصابني

هلع شديد عندما لم أجد أحداً، فتعثرت وسقطت على الأرض يبدو أن قدمي تعثرت في تلك الحقيبة الملعونة التي لا أدري من أين أتت إلى بيتي؟!!!

كنت أتألم من السقطة، رفعت رأسي متأوهاً، هنا احترق في جسدي آخر ما تبقى لي من دماء فيه، عندما سمعت صوتاً يتأوه معي أصمتُ فيصمت أتأوه فيتأوه .....

جلست على الأرض فزعاً لا أفهم ماذا يحدث حولي....

وبينما أنا هكذا إذا بصوتٍ عنيفٍ يضرب الأبواب والجدران كأنه زلزال ضرب الغرفة، وفجأة شعرت وكأن جدران الغرفة تقترب من بعضها البعض، تقترب بسرعة حتى لو أنني ظللت مكاني ثواني قليلة سأموت لا محالة، استجمعت كل ما تبقى لي من قوة وحاولت أن أزحف خارج الغرفة ....

فالموت قد نتمناه ولكن عندما يأتي ويكون على مقربة منا نتحول إلى أشخاص تعشق الحياة، تحاملت على نفسي وآلامي حتى خرجت من الغرفة، واستندت على الجدار بالخارج، وقفت ألهث من الخوف والتوتر ولكن العجيب أن جدران الغرفة من الخارج ثابتة لم تتحرك!!

وقفت مكاني ولا أدري ماذا أفعل ولا ماذا أقول؟!!

أتمنى أن أخرج وأستغيث بأهل القرية ولكن الكبرياء منعني. فمن لم يهتم لأمرك فيما مضى كيف سيهتم الآن؟!!!

ربما يقولون خرف الرجل أو أصابه الجنون، ....

جلست ليلتي أندب حظي العاثر، لا أدري كيف السبيل إلى الخروج مما أنا فيه؟!!!

هل حقاً عقلي أصبح مريضاً من الوحدة ويعاني الخلل أم أن ما يحدث حقيقة؟!!

صراع شب داخلي ونيران اشتعلت في كافة أنحاء جسدي، ولا سبيل لإخمادها، ظللت هكذا حتى جاءت الثالثة فجراً وهربت من نفسي إلى نومي...

لم يمر وقت طويل كعادتي في النوم، وبعد الفجر بقليل استيقظت على كابوس مريع، امرأة من نار تحاول النوم معي على سريري!!!

استيقظت ولا زلت أشعر بحرارة لمستها على جسدي، حاولت أن ألملم شتات أفكاري وأتغلب على الألم الشديد الذي انتاب جسدي وانتشر فيه كاملاً...

بصعوبةٍ بالغةٍ استطعت القيام وأخذت أتجول في البيت حيراناً، لا أعرف ماذا أفعل ولا كيف أتصرف؟!!!

سعيت جاهداً واستغرقت وقتاً طويلاً كي أهدأ نفسي.

كي يتسنى لي التصرف بشكل سليم، فالأمر الآن ليس مزحة، أشعر وكأنني في ورطة كبيرة لابد لها من حل ولكن كيف؟!!!!

وقفت أمام المرآة أنظر إلى نفسي ووجهي الذي أصبح شاحباً، حزنت كثيراً على نفسي عندما وضعت يدي على شعري فوجدته يتساقط بكثافة يبدو أن شعري هو الآخر قرر التخلي والانعزال عني كما فعل الجميع وبدأ بالتساقط...

وجدتني لا إرادياً أذهب إلى صورة معشوقتي أقبلها وأحادثها كنت قد قررت أن أحكي لها عمّا يدور بداخلي من ألم وتعب وعلى هذا اليأس الذي انتابني لفراقها، أردت أيضاً أن أخبرها عن هذه الأشياء الغريبة والمرعبة التي تحدث معي وعن تلك الكوابيس الملعونة، ولكني خشيت عليها فأنا أعرف أنها تخاف من أتفه الأشياء، ولا إرادياً نسيت كل ما نويت قوله، ووجدتني أخبرها قائلاً: مازلت أنظر إلى صورتك وأعتني بها في نهاية كل يوم، مازلت كعادتي لا أستطيع إغلاق عينيّ دون تقبيل وجهك اطمئني أنا بخير، فقط اشتقت لكِ كثيراً، أتمنى فقط أن تزوريني في أحلامي إن استطعتِ، أحتاجك بشدة، لكِ حبي وحياتي ولتعِشي دوماً سعيدة.....

وضعت صورة معشوقتي على صدري، ونكّست رأسي بين يدي.

مرّ وقتٌ وأنا هكذا، وإذا بباب البيت يطرق، نهضت سريعاً، فما أحوجني إلى أحدهم الآن، يبدو أن القدر أرسل أحدهم في هذا التوقيت لينتشلني مما أنا فيه، فأيّ ما كان الذي جاء يطلبه، ولكني قطعاً محظوظ أستطيع الآن البوح عما في داخلي، انتفضَ الأمل واتجهت مسرعاً إلى الباب، فتحت الباب فإذا بالمرأة الكبيرة المسنة عند باب البيت.

مات داخلي الأمل الذي انتفض... وقفت مترنحاً لا أدري ماذا أقول؟!!

_باغتتني هي قائله: لقد نسيت عندك أشياءً تخصني في المرة السابقة أريدها.

_فقلت لها: أيّة أشياء هذه التي نسيتها؟!!

_ فقالت: حقيبة بها بعضاً من أغراضي؟

_تعجبت، وقلت لها: لا، لا يوجد أي شيء هنا.

فنظرت لي بنظرة كلها سخرية وقالت:

_أنا على يقين أنّ أشيائي في دارك هنا، وخاصة في الغرفة الأخيرة من الخلف بجوار الطاولة.

هنا تجمعت ذاكرتي وتذكرت الحقيبة التي بها الدمية وأوراق صديقي هي الوحيدة الغريبة ولكن من المؤكد أنها لا تقصدها. هي تقول أنّ حقيبتها يوجد بها أغراضها....

وقفت متعجباً لا أدري ماذا أفعل؟

_وقلت لها: سأدخل أبحث لك عنها، دخلت الغرفة لم أجد أيّ حقائب لا أعرفها الغريب في الأمر أني لم أجد حتى تلك الحقيبة التي بها الدمية وأوراق صديقي!!

عدت سريعاً إلى الخارج لأسأل المرأة عما يحدث، الأغرب أني لم أجدها هي أيضاً، وكأنها تبخرت في الهواء، بحثت عنها كالمجنون في البيت وخارج البيت لا أثر لها ولا للحقيبة، جُنَّ جنون عقلي مما يدور حولي، كم أتمنى أن يكون كل هذا كابوساً طويلاً أو حلماً في منام ينتهي قبل أن أنتهي أنا....

دخلت مسرعاً إلى الحمام لأغسل وجهي بالماء، لعلّي أستفيق مما أنا فيه، غسلت وجهي ونظرت إلى المرآة فتسمّرت مكاني عندما وجدت كلمات مخطوطة وكأنها كتبت بالدم، أنا نائلة وأنتَ لي، لم أفهم شيئاً!!!! سكبت الماء على المرآة لم تحذف الحروف!!!

مددت يدي لألمس وأعرف هل هي بالدم؟ الغريب أنها ليست في المرآة، ولم أستطِع لمسها!!!!!

ثوانٍ قليلة وسمعت ضحكة عالية في الغرفة الأخيرة، ذهبت لأرى من هناك لم أجد أحداً، فعدت سريعاً للمرآة، فوجدت أن الكتابة قد محيت من على

المرآة، جلست مكاني أبكي كما لم أبكِ من قبل، أي لعنة هذه التي أصابتني؟!!! وأيّ خراب حلَّ فوق رأسي؟!!!

انقطع الأمل والرجاء من أهل القرية، الآن أنا على يقين أن الجميع قد نسي أمري، أغلقت كل الأبواب في وجهي، أصبحت أحمل لهم من الحقد والضغينة ما يمنعني عن الاستنجاد بأحد منهم حتى لو طرق بابي الموت....

لم يتبقَّ لي إلا صديقي الذي يسكن محافظة البحيرة، فرغم كل شيء إلا أنه يحمل قلباً ليناً، والآن أنا في احتياجه، ولكن ماذا لو ذهبت إليه فوجدته لازال مريضاً كما كان؟!!!!

جلست حائراً لا أدري ماذا أفعل؟!!!!

ولكن في النهاية قررت الذهاب إليه فهو آخر آمالي ولو أنه أصبح بعافيته سيساعدني كثيراً فيما يحدث معي هذه الأيام....

وبالفعل استقللت السيارة وذهبت إليه، طوال الطريق أدعو الله أن تكون عافيته قد عادت إليه،

وصلت إلى هناك فاستقبلني أخوه كما المرة السابقة، ولكنه قتل أملي عندما أخبرني أنه ما زال طريح الفراش وأن حالته تسوء أكثر فأكثر...

شعرت بدوار في رأسي كدت أن أسقط أرضاً، فحاول أخوه مساعدتي حتى أجلسني، وبعد دقائق استفقت، وطلبت منه ولا أدري ما الذي دفعني لطلبي، ولكني طلبت أن أرى صديقي وافق الرجل.

دخلت عليه كان كما هو طريح الفراش، نظر إليّ نظرات طويلة؛ وبدأت علامات الابتسامة على وجهه، ولكنه لم يتكلم، أريد أن أخبره بما حدث لي رغم مرضه، ولكن أخاه بجواري وهذا ما منعني.

ولكن أثار انتباهي أن صديقي ينظر لي ومن ثم ينظر إلى أوراق بجواره!!

لا أدري ماذا يقصد، هل يقصد شيئاً أم لا؟

وقفت حائراً ولحسن حظي أنّ أحداً من البيت قد طلب أخاه في الخارج، فاستأذن الرجل ليرى من يطلبه...

عندما خرج، نظرت بتمعن إلى نظرات صديقي فوجدته يطيل النظر إلى أحد أدراج مكتبه، فأسرعت بدون أي إرادة إليه كالملهوف، بدأت نظرات صديقي تحركني وكأنه يأمرني، فتحت درج المكتب الذي أشار إليه بعينه، فوجدت ورقة مكتوب عليها غفران.

فسألته قائلاً: هل تقصد هذه؟

فابتسم وكانت علامات الرضا عليه ولكنه لم يتكلم.

لم أفهم ماذا يقصد، ولكن دار عقلي سريعاً، وتذكرت تلك الجلسة مع الرّوح المقتولة التي سجلها صديقي في أوراقه وكان الساحر غفران هو قائد الجلسة. ربما يريدني أن أذهب إلى غفران؟!! ولكن كيف ومن غفران هذا؟ ووسط شرود ذهني دخل أخوه يعتذر عن التأخير، فقلت له:

_لا عليك، ولكن أريد أن أسألك شيئاً؟

_فقال: تفضل سل ما شئت؟

_فقلت له: أريد أن أعرف مكان غفران الساحر؟

_فسألني متعجباً: كيف عرفت اسمه؟

_فقلت: هاااه؛ أنت قلت لي هذا الاسم في المرة السابقة.

_صمت قليلاً يبدو أنه لم يصدقني ولكنه قال: هو في أحد أطراف قريتنا ماذا تريد منه؟

_فقلت: لا شيء فقط أريد أن أسأله عن أمر أخيك وإن كان باستطاعته مساعدته.

_فقال لي: لا تتعب نفسك لقد توسلنا إليه ولم يهتم.

وبعد إلحاح مني قال:

_سأخبرك مكانه لكني لن أذهب معك.

_قلت له: اتفقنا.

فأخذني وبعد فترة من السير في القرية على أقدامنا والتي لا تختلف كثيراً عن القرية التي أسكنها، وهناك في أحد أطراف القرية أشار إلى بيت وكأنه مهجور وقال لي:

_هذا هو بيت غفران الذي تسأل عنه، ولا يمكنني التقدم معك أكثر.

_قلت له: لا عليك عد أنت.

وبدأت أتقدم باتجاه بيت غفران، خطوات يشوبها الخوف والقلق والتوتر، ولكن لا يوجد لدي أي خيارات أخرى، "مجبرٌ أخاك لا بطل".

وصلت إلى بيت غفران، لم أتعجب كثيراً للبيت من الخارج، فهو لا يختلف كثيراً عن هيئة ومكان بيتي من الخارج.

طرقت الباب بحذر وبعد عدة طرقات، انفتح الباب دون أن يكون وراءه أحد، تقدمت خطوة وناديت لم يجِب أحد، وقفت حائراً، أأعود أم أكمل إلى الداخل يبدو أن غفران غير موجود؟

وبينما أفكر إذا بباب البيت يغلق دون أن يلمسه أحد كما فتح دون أن يلمسه أحد.

احتبست أنفاسي للحظات، بعدها سمعت صوت أحد يتكلم قائلاً:

_مرحباً بك يا ميمون المعشوق.

استغربت، من هذا؟ وكيف عرف اسمي؟ ولكني تساءلت قائلاً:

_من؟

_فقال: أنا غفران الذي أتيت تطلبني، تقدم.

ظللت أتقدم ببطءٍ، حتى وصلت باب غرفة في آخر البيت، تفاصيل هذا البيت لا تختلف عن بيتي كثيراً من الداخل، ولكن هنا الكثير من الرسومات والأشكال المخيفة والكثير من الطلاسم والشموع في شتى جدران البيت... فُتحَ باب الغرفة أيضاً دون أن يلمسه أحد، دخلت، كان في المنتصف طاولة كبيرة، عليها الكثير من الشموع، والكثير من الأصوات المبهمة وغير المفهومة، والكثير من البخور ورائحته التي تغطي الغرفة، وقفت مندهشاً، وفي ظل دهشتي وصمتي قاطعني غفران بعدما استدار بكرسي كبير يتوسطه وعلى أطرافه تمثالين لاثنين من الشياطين، وقال:

_ جئت تبحث عن حل في طريقٍ مظلمٍ ولن تجده، لأنك دخلت دائرة ولا يمكنك التملص والخروج منها.

_فتعجبت وقلت: هذا تماماً ما أخبرتني به امرأة عجوز لا أعرفها، ولكني جئتك طالباً حلاً.

_ فضحك غفران بصوتٍ عالٍ، عالٍ جداً... حقاً أرعبني وقال: امرأة عجوز!!! هذه ليست امرأة عجوز بل هي نائلة صاحبة الشعور المائلة، هي إحدى بنات الجان وأكثرهم جمالاً تعشق معاشرة البشر الرجال، كما يعشق ميمون النكاح معاشرة النساء البشريات، ولحسن حظك أنها أحبتك وحتى الآن لا تريد أذيتك.

_ فاستغربت وقلت تحبني أنا؟!!! ألم تجد في البشر غيري؟ صدقني يا غفران أنا في قرية أنا أقلهم مالاً وجمالاً.

فضحك أيضاً غفران بصوتٍ عالٍ وقال:

_المال والجمال يتعامل به البشر أما الجنيات فلا يا ميمون، أما عن اختيارها لك دون غيرك لأنها أعجبت بوفائك لمعشوقتك التي توفيت، ربما هذا ما أثار فضولها لك، فالنساء وطبعهم لا يختلفن كثيراً بين البشريات والجنيات.

_فقلت له: ولكني لا أريد حبها ولا أريد أن أراها في طريقي، أتوسل إليها أن تتركني وشأني.

فضحك غفران مستهزئاً بكلامي قائلاً:

_أنت من أذنت لها بدخول حياتك عندما جلست وحيداً يائساً في زنزانتك، ماذا تنتظر من الوحدة يا ميمون إلا الموت والظلام، ولا يمكنك رفض هذا الحب وإلا ستتحول حياتك إلى خراب أكثر وأكثر، أنا أعرف عنك الكثير في هذا الأمر.

وضعت يدي على وجهي أندب حظي العاثر وقد امتلأت عيناي بالدموع، أنا قطعاً لم أرد أن تكون نهاية حزني واستسلامي لليأس هكذا....

_فسألته: وما الحل إذاً؟

_فقال: أنا أقدر حجم التعب الذي تعانيه الآن وصدقني أنا لست معها ضدك، فما عشته لا أريد لأحد أن يعانيه مثلي، ولكن من الممكن استغلال حبها لك ونحاول التواصل معها في خلوة إلى حلول وسط، فقط ثق بي وأنا سأسعى جاهداً لأن أجعل خسائرك قليلة معها ولكن ما سأقوله لك عليك الطاعة.

فقبلت كلامه وهل أمامي خيار آخر؟!!!

جلست مع غفران في بيته ما يقارب الشهر كان يسعى دائماً لإيجاد حل مع نائلة بواسطة شيطانه الذي يخدمه، في النهاية كان الاتفاق أن تظل ترافقني في

حياتي لكنها لن تجبرني على شيء لم أوافق عليه ولن تؤذيني، أعطاني وعلمني خلال هذا الشهر الكثير من الطلاسم التي أجدها بها إن أردتها، وتساعدني في تهدئتها إن غضبت، وأصرفها إن أردت.

كنت أشعر أني في حلم لطالما أنكرته، ولكن عندما لا يجدي النكران نفعاً، وتصبح هشاً وتظهر حقيقة هشاشتك، ستبحث عن أي ملجأ، وأنا هرعت إلى بابٍ ضالٍ، باب كلما أكثر المرء من الجلوس في داخله بات فاشلاً حقاً، باب خلق كملجأ لكل جبان لم يستطِع مواجهة الصعاب في الحقيقة؛ فقرر مواجهتها في خياله، ذلك الملجأ الذي يستطيع أن يجعل من الفاشل بطلاً في عين نفسه، أجل لقد هرعت إلى أحلام اليقظة فما أجبنني حينها وأضعفني...

عدت إلى بيتي وقد اعتدت على وجود نائلة معي في البيت، رغم أنها جن إلا أنها أغنتني عن أهل القرية، كانت تظهر لي بهيئة حبيبتي وقت رضاها وهيئتها النارية وقطع غضبها....

مرت الأيام والأيام والشهور والسنين وقد أدمنت وجود نائلة، وأحببت البشر الذين ينتمون إلى عالم آخر، هو عالمي اللعين، ذلك العالم الذي يختلط فيه البشر بالشياطين، هذا العالم حيث الخوف والقوة، عالم مليءٌ بالظلم ليس لديه حاكم، وصراعاته لا تنتهي....

أغوتني نائلة عدة مرات وضعفت في بعضها، فهي شيطان وأنا قد أصبحت بلا إرادة...

مرت هكذا أيام عمري وسنواتي التي مضت سريعاً، دون أن أشعر بها كنت أتردد على غفران من وقت لآخر، وتعرفت على الكثير من البشر الشياطين في هذا المجال، انغرستُ في هذا العالم المظلم فقد تحولت حياتي.

وكانت نائلة هي نقطة انعطافي نحو الهاوية... فالإنسان يصل ما بين الحين والآخر إلى نقطة انعطاف، يصبح فيها مجبراً على اللاعودة على اللامبالاة. وكانت هذه نقطة انعطافي....

أصبحتُ لا أحب المشاركة في أحداث العالم الخارجي من حولي، كان عالمي فقط بيتي ونائلة، أتابع وأعلم كل ما يحدث بين البشر ولا أبالي، أراقب من بعيد وأتابع ماذا يجري ولكن بدون تدخل مني، بدون أدنى تدخل يذكر....

فماذا سيهمني بهذا العالم وقد خلقت لنفسي عالماً منفصلاً؟!!

وماذا سأجني من الاهتمام بهذا أو ذاك؟؟!!

أصبحت لا أطيق الجدالات ولا سماع أصوات البشر، أصبحت لا أتحمل النزاعات ولا أطيق المتنازعين، حالة من النفور من كل شيء تجتاح كياني، أنظر إلى أهل القرية وأردد بداخلي؛ تابعوا أنتم سباقكم الزمني واتركوني ها

هنا أطالعكم في صمت ومن بعيد، وحتى إن غبتم عن أنظاري فلن أهتم، أصبح كل سعيي الحفاظ على سلامي النفسي مما أراه عبثاً، ولكن الحقيقة أنه لم يكن سلاماً فقد كنت موهوماً!!!!

مرت سنوات عمري سريعاً دون أن أشعر بها، فالضبع لا ينتبه لوجود اللحوم الطرية عندما تغريه الجيفة، وأنا قد انغرست في اللا شيء، ربع قرن بالتمام والكمال مرّ من عمري، قضيته في الوهم والأوهام وأحلام اليقظة، لم أترك طريقاً لإغضاب ربي إلا وسلكته دون أن أدري أو أتعمد، الشيء الوحيد الصالح في حياتي أنني طوال تلك السنوات لم أستطع أن أؤذي أحداً ممن آذوني رغم قدرتي على ذلك، كان لا يزال هناك بداخلي قلب إنسان، حتى وأنا في أشد فترات حياتي ظلمة، ويبدو أن الله قد لمس ذلك بداخلي، وأراد أن يكون أحن عليّ من أهل القرية، ومن كل من خذلوني.....

فبينما أنت منهمك في البعد عن الله، قد يخلق لك موقفاً عصيباً، يعيد إليك توازنك، هذا الموقف سيضيق بك المساحات ذرعاً، وتجد عند الله الخلاص والمتسع، وبطريقة ما ستجد مواساة الله تفت في أعماق قلبك... فقد أصابتني وعكة صحية ومرض شديد، شعرت بأن روحي تخرج مني، وتفيض إلى خالقها، لم ينفعني غفران ولم تساعدني نائلة، لم ينفعني أحد، حتى الأطباء....

فلم أجد ملجأ وملاذاً إلا إلى الله، الله الذي ابتعدت عنه لسنوات طوال وصلت إلى ربع قرن من الزمان....

بكيت كثيراً عندما استفقت من غيبوبتي ليس لشدة المرض ولكن لخوفي من ملاقاة ربي هكذا عاصٍ ومذنباً لا شفاعة لي....

بكيت كثيراً ليس لخوفي من الموت، لكني كنت أستحي أن أقف بين يدي ربي هكذا، ظللت أسجد وأدعو الله ألّا يقبض روحي إلا بعد أن يغفر لي ذنبي.

استفقت وعدت إلى الله، بدأت أدعوه وأتقرب إليه، ابتعدت عن نائلة وغفران وما شابههم وما عرفته في عالم الظلام، ولأن طريق الله تحفهُ المخاطر لم تتركني نائلة وشأني، بل تفننت في تعذيبي، وتحويل حياتي إلى جحيم، ولكني قد اتخذت عهداً بيني وبين الله ولن أعود، وكيد الشيطان وإن عظم ضعيف، حاولت بشتى الطرق هزيمتي وأن تعيدني إلى عالمها المظلم ولكنها لم تستطع، فالمرء ينهزم حينما يصبح لديه ما يخشى فقدانه، أما في حالتي وأني وحيد لم تستطِع هزيمتي فلم يعد لدي أشياء أخشى خسارتها، عمري مضى بسرعة، بسرعة جداً، أصبحت فوق الأربعين، ضاع شبابي في

الأوهام وأحلام اليقظة، وبعد محاولات عديدة من نائلة وفشلها معي بالترهيب والعنف في عودتي.

جلست تتودد بكل ما أوتيت من قوة ودهاء ومكر، فكتبت لها رسالة جعلتها على كل جدران بيتي كي أتذكرها دوماً:

"عزيزتي نائلة، لماذا تزوريني كل يوم؟ لماذا تأتيني كل ليلة في أحلامي؟ لماذا تراودين عقلي على تلك الفكرة المحرمة؟ لماذا تستغلين ضعفي وكآبتي ومعاناتي؟ أراكِ في كل ليلة في غرفتي في أفكاري مزينة بالخراب والدمار، والحزن والتشاؤم، بالصرخات واللعنات؟

تحاولين إقناعي بارتكاب الإثم العظيم وتزينين لي الذنب الكبير، وتذكرين فضائل الخطيئة، لعنة الله عليكِ يا بنت الجحيم، أنا لست ممن عبدوك أو قدسوك، أنا لا أعرفك ولا أريد أن أعرفك، أنا فقط مجرد يائس تملكني الحزن فحاولتِ امتلاكي، توقفي عن إغوائي وإغرائي فأنا لن أستسلم لكِ ثانية، اذهبي لضعاف النفوس والعصاة فهم لأمركِ خاضعون، لا حكم لكِ عليّ بعد الآن، اتركيني وشأني يكفيني ما أنا فيه، فقد أضعتِ شبابي وزهرة عمري، صدقيني لن أعود عن طريق ربي ولو كلفني موتي، لم تتركي طريقاً لعودتي إلى طريق الظلام إلا وسلكتيه، ولكني لن أتراجع وسوف يعينني ربي.....

ولكني لن أستسلم ولن أضعف مرة أخرى، حاولت ألّا أستسلم للفراغ كيلا يدخلني الحزن واليأس من جديد، فعدت إلى أرضي التي أهملتها سنوات طوال، وجدت أحد كبار القرية وقد كان صديقي، يرعاها، كنت أتمنى أن أعاتبه وألومه على إهماله لي في السنوات الماضية رغم أنه لا يفعل ذلك مع أحد، كنت أتمنى أن أخبره أنه كان من الواجب عليك يا صديقي عندما تراني متعباً في مواجهة متاعب الحياة أن تساعدني دون أن أطلب منك ذلك، وأن تساندني دون أن أطلب منك ذلك، لأني لا أطلق لقب صديق على أي إنسان، ولكني أسرتها في نفسي.

حاولت جاهداً أن ألملم شتات ما تبقى لي من عمر لكن دون جدوى فقد فات الأوان...

استطعت التغلب على نائلة ونسيت تماماً أحلام اليقظة والوهم الذي أضاع عمري....

اهتممت بأرضي.... داومت على زيارة المقابر ليلاً، تارة للهروب من نائلة، وتارة لأستأنس بالموتى بعدما خذلني الأحياء.... استطعت تبديل عاداتي السيئة بعادات جميلة....

لكني لم أستطع أن أنغمس بين أهل القرية مع أنني سامحتهم لوجه الله، فلم يخطئوا هم فقط في حقي، بل أخطأت أنا أيضاً في حق نفسي، وأخطأت أمُّ جدي في حقنا عندما أخذت حقاً ليس لها، وأخطأ والد معشوقتي عندما رفضني فقط لأني غريب، وأخطأ فيه والدي الذي أهانني وعاملني بقسوة....

بدأت الأخطاء صغيرة ومتباعدة كقطع الحجارة الصغيرة ولكنها مع مرور الوقت أصبحت جبالاً أضاعت عمري... حاولت التقرب من الله أكثر، كنت أدعوه ليل نهار، ألّا يقبض روحي إلا بعد أن يغفر لي ذنبي،

كنت مستعداً لمواجهة أي متاعب من الدنيا، لكني لست مستعداً أن ينغمس جسدي في النار...

مرت السنوات والحال هكذا لم يتغير....

أنا الآن في العقد السادس من عمري، منذ عام ونصف العام تم العثور على جثة طفل بجوار بيتي، داهم أفراد الأمن منزلي فوجدوا تلك الأوراق اللعينة التي كانت سبباً في بعدي عن الله وأضاعت عمري، و لأن الجزاء من جنس العمل، كانت هذه الأوراق دليل إدانتي على جُرمٍ لم أقترفه، وحمدت الله على قدري وقلت ربما الله استجاب إحدى دعواتي وها هو يكفر ذنبي، صبرت على ابتلاء الله لي واحتسبته عند الله، منذ يومين فقط خرجت من أغلال

السجن والآن أنا في بيتي أشعر وكأن المرض بدأ ينهش جسدي بشدة، لست حزيناً، ولكني الآن راضٍ بقضاء الله إن حان، الآن فقط اشتقت لأمي وأبي وحبيبتي هذه آخر سطوري كما هي آخر أيامي، كان بإمكاني أن أهجر كل ما يؤلمني، كان بإمكاني أن أتجاهل وأتغافل عن الكثير من الأشياء المؤذية لأستطيع مواصلة حياتي بقدر أقل من الألم الذي عانيته، ولكني استسلمت لليأس، والوحدة كنت أعتقد أن مناعتي هشة في طفولتي فقط، ولكنها كانت أكثر هشاشة حتى وأنا في ريعان شبابي يبدو أن ما عانيته في طفولتي قد أثر سلباً على مناعتي في كبري، تركت دراستي وحلمي، حطمت مستقبلي، لم أبنِ لي عائلة كما تمنيت لأنني اتكأت على جدار الضعف والمهانة والجبن حتى التصقت به، لن أعيب على أهل القرية أنهم خذلوني بل سأعيب على نفسي لأنني علقت آمالاً كبيرة عليهم، وأعيب على أمِّ جدي التي طمعت في حق ليس لها فذُبحَت لأجله، وألوم جدي الذي قتل ابن عمه وهرب بنا..

وألوم أبي الذي عاملني بقسوة فكسر وزعزع وحطم ثقتي بنفسي حتى أصبحت هشاً هكذا...

أدون حروفي هذه ولا أعلم إن كانت ستقع في يد أحد أم لا؟!! ولا حتى ما الدافع لأن أسجلها؟!!!

ربما كتبتها لتكون عبرة لمن ستقع في يده.... فإذا كانت حروفي هذه بين يديّ أحد الآن، فثق أولاً أني الآن تحت التراب بين يدي رب العباد، وأرجوك لا تتسرع بالحكم عليّ، وكن منصفاً، وعشْ ما عشته أنا لأيام فقط ولن أطالبك بأن تضحي بعمرك كاملاً من أجل تجربة أعلم أنها مميتة.....

وثانياً لك مني سلام، ورغم أني لا أعرف من أنت ولا كيف وصلت لقراءة كلماتي هذه!!

ولكني أريدك أن تعلم أنك عظيمٌ ومميزٌ ومختلفٌ عن كل مخلوقات الله، ميزك ربك بنعمة العقل فاعمل بها، ولا تحزن، الحياة جميلة، وتستحق أن تكون فيها سعيداً...

كن ناجحاً... عليك ألّا تستسلم، فالفشل لا يليق بك... لا تراكم أحزانك وتنساق وراء هذا المجتمع وقيوده وادعائه الملائكية، في النهاية كلنا بشر ناقصون، وسيكون العالم أكثر لطفاً لو تقبلنا هذه الحقيقة، ونحينا قناع الهيبة والصمود جانباً... كن قوياً فالحياة لا تقبل الجبناء.... لا تحاول أن ترهق نفسك بالتفكير في مستقبل قد يأتي وأنت لست فيه.

لا تبحث عن صديق أو حبيب مثالي، عذراً صديقي فهذا المنتج غير متوفر

في أسواق مجتمعنا، كلنا نعاني نواقص معينة، وليس بالضرورة أن يتم ملء هذه النواقص، فقط إذا أردت الحصول على علاقة مثالية يجب تقديم تنازلات، ولكن نصيحتي ألّا تتمادى في التنازلات لدرجة تفقدك كرامتك، وأيضاً لا تتعنت.

الحب ليس معصية، المعصية الحقيقية، هي التلاعب بالمشاعر، أو أن يدفعك هذا الحبّ لأن تخسر كرامتك وحياتك.... لا تنتظر حياة مرفهة بدون متاعب، الحياة بدون متاعب هي عبث وأضغاث أفكار،

الحقيقة الربانية ثابتة لا تتغير (ولقد خلقنا الإنسان في كبد)، لكن عليك أيضاً ألّا تستسلم للحزن والتعب....

منطق الحياة يؤكد أنّه لا فرح يستمر ولا حزن يدوم، هي مركب نهتز فيه كلما تقلبت أمواجها، قف على ناصية حلمك وقاتل ولكن بشرف، السعادة ليست دائماً في الفرح ولكن قد تتحقق في فن التعامل مع الأحزان.... لا تنتظر البعيد ولا تترك نفسك وحيداً فالوحدة ملعونة وقاتلة...

لا تبقَ قعيداً وحارب العالم بمفردك، وأذب من حولك كل الجليد ولكن تذكر بشرف فحرب بدون شرف لا تستحق، لا تُمحى الأخطاء بمرور الوقت،

لن يمحو الخطأ إلا الاعتذار الصحيح حتى لنفسك فكن شجاعاً وتحلى بثقافة الاعتذار لا تكن مثلي!! أفنيتُ عمري أحاربُ لأصلَ للباب الذي طالما حلمتُ للوصول إليه، وعندما كنت على بعد خطوات منه وقفت عاجزاً أتأمله فقط وأرى سنين عمري تضيع مني...

عاهد حلمك الآن أنه سيكون، واصرخْ في وجه الدنيا كلها وقاوم، عندما تسقط لا تستسلم بل انهض من سقوطك مرة أخرى حتى لو لم يسندك أحد، ليس من العدل أن تظلم حلمك بعدما انتظرك، ولا من العدل أن تظلم نفسك بعد كل هذه المحاولات، تذكر العهد الذي أخذته مع حلمك في الماضي، وتذكر أنك حُرٌّ، وتذكر دائماً أن عهود الأحرار ديون مثل الوعود، هيّا أوفي بعهدك أيها الحُر، مهما كنت مجروحاً وحزيناً.

الآن لا تستسلم لوحدتك وتذكر أنه حتماً ستشرق الشمس من جديد داخل قلبك وستنير كل شيء أطفأته الخيبات وتشفى الجروح والندبات، لا تخشَ مواجهة شيءٍ ولا كائنٍ ما دمت على حق، إن أرغمتك الدنيا على الحرب يوماً، حارب ما دمتَ مُحقاً؛ فهذه حربك وستكون أنجح حروبك...

مهما كنت تعاني الآن تفاءل بربك خيراً واطمئن، فالمستقبل يخبئ لك كل ما هو جميل....

لا تلتفت للوراء فقد ولى وانتهى، ولا ترهق نفسك بالمستقبل قد لا تكن فيه...

عش حياتك الآن سعيداً... وفي النهاية لكَ حبي وحياتي ولتعِش دوماً سعيداً..

هذه كانت بعضاً من مذكرات العجوز الخَرِفْ أو العاشق المتيم، وكيف عاش المعاناة والويلات من مجتمع أحمق لم يشعر به ولم يعِره اهتماماً، لم أستطِع ذكرها جميعاً لكثرتها، ولكن... تُرى كم من عجوزٍ خَرِفٍ بيننا مهما اختلفَ عمره، قد يكون لا زال شاباً في ريعان شبابه ولكنه أصبح عجوزاً من داخله، لأنه لم يجد من يفتش عنه، ويحاول التلصص عليه وإخراجه من قوقعته، تلصصوا على من بجواركم فربما قد يكونوا في أمس الحاجة لكم، أما أنا فعشقت التلصص، ذلك التلصص الذي جعلني أتقصى أمر عجوزٍ خرفٍ منبوذٍ؛ فعرفتُ أنه عاشقٌ متيمٌ ظُلِمَ حياً وميتاً، كان كل ما اقترفه من إثمٍ أنه وجد نفسه في قرية ليست قريته فأصبح في نظرهم غريباً، ليس له حقوق، حرموه من حب حياته، ودفع حياته ثمناً لغربته، فما بال من اغتربَ عن بلده ليجد نفسه في دولةٍ ليست دولته، وربما مع أناس ليسوا من نفس ديانته!!!!

تُرى ما حجم المعاناة التي يعانيها هؤلاء؟!!!!

وهذا ما دفعني للتلصص عليهم في غربتي....

تمت بحمد الله

قريباً بإذن الله
إن قدّر الله لنا البقاء
(متلصصٌ في الغربة)

مذكرات ميمون العجوز الخرف
روايــة
أسامة علي

الطبعة الأولى
1441 هـ 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com